مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

الشاعر المجمعي

أديب التقي البغدادي

١٣١٣ - ١٣٦٤ هـ
١٨٩٥ - ١٩٤٥ م

إعداد
المهندس محمد باسم صندوق

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

الشاعرُ المجْمعيّ

أُديبُ التقيّ البغدادي

١٣١٣ - ١٣٦٤ هـ

١٨٩٥ - ١٩٤٥ م

إعدادُ

المهندس محمّد باسم صندوق

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

الشاعر المجمعيّ

أديب التقيّ البغدادي

الشاعر أديب التقي البغدادي

١٣١٣ - ١٣٦٤هـ/ ١٨٩٥ - ١٩٤٥م

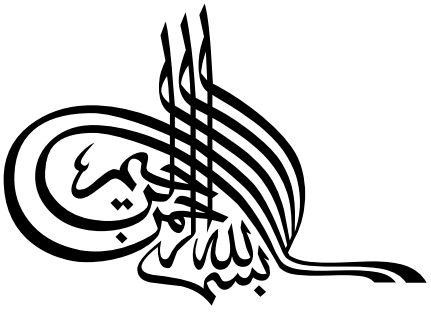

المحتوى

تقديم **٩**

مقدمة المؤلف **١٥**

الفصل الأول: حياته **١٩**

أولًا: نسبه وأسرته **٢١**

نسبه ٢١

والده ٢٢

والدته ٢٢

سبب تسميته بـ "أديب" ٢٢

زوجته وأولاده ٢٣

ثانيًا: تحصيله العلمي وأشياخه **٢٦**

قبل المدرسة ٢٦

في المدرسة ٢٩

إجازة التعليم والتدريس ٢٩

إجازة الحقوق ٣٠

الدكتوراه ٣٠

ثالثًا: الجندية **٣٤**

الوداع والطريق ٣٥

في بلاد الحرب ٣٦

هربه وتَخَفِّيه ٤٠

رابعًا: «التقيُّ» معلِّمًا **٤١**

المرحلة الأولى ٤١

المرحلة الثانية ٤٢

المرحلة الثالثة ٤٥

خامسًا: أصدقاء «التقيّ» وطلابه **٤٦**

أ. أصدقاء «التقيُّ» ٤٦

ب. طلاب «التقيُّ» ٤٨

سادسًا: «التقيُّ» بأقلام أصدقائه ومحبيه **٥١**

أ. الدكتور حسني سبح ٥١

ب. الأستاذ حكمت هلال ٥٦

سابعًا: وطَنِيَّةُ «التقيّ» **٦٤**

مع الأتراك ٦٤

مع الفرنسيين ٦٥

بين الشرق والغرب ٧٠

قضية فلسطين ٧٢

ثامنًا: قيم «التقيّ» **٧٣**

الفصل الثاني: «التقيُّ» شاعرًا **٧٩**

١. الديوان المطبوع ٨٢

٢. الديوان المخطوط ٨٤

٣. أغاريد التلاميذ ٨٦

٤. ديوان أوار الوجد ونوَّار الرند ٨٧

٥. القصائد المشتركة ٨٧

٦. القصائد غير المنشورة ٨٨

الفصل الثالث: «التقيُّ» ناثرًا **١١٧**

أولًا: الكتب **١١٩**

١. مناهج التربية والتعليم ١١٩
٢. سِيَر التاريخ الإسلامي ١٢٠
٣. التاريخ العام ١٢٠
٤. سِيَر العظماء ١٢٢
٥. الطُّرَف ١٢٣
٦. الشريف الرضيّ ١٢٣
٧. الكتب المفقودة ١٢٤
ثانيًا: المقالات **١٢٨**
ثالثًا: الترجمات **١٣١**
الملاحق **١٣٥**

تقديم

مروان البواب

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نَبِيَّ بعده.

وبعد، فهذا الكتابُ حلقةٌ جديدةٌ في سلسلةِ الكتب التي يُصدرها مجمعُ اللغة العربية بدمشق عن أعلامِهِ الراحلين الذين حَمَلوا مشاعلَ العلم والمعرفة، ونَذَروا ألسنتَهم وأقلامَهم للنهوض باللغة العربية والدفاع عنها، وبَذَلوا في سبيل ذلك فوق ما يُطيقون، بهممٍ عاليةٍ وعزائمَ ماضيةٍ ونفوسٍ راضية.

وعَلَمُنا في هذا الكتاب هو الأستاذ أديب التقي رحمه الله تعالى.

وإذا كان لكلِّ مسمًّى من اسمِهِ نصيب، فإن عَلَمَنا حازَ من ذلك النصيبَ الأوفى؛ فأما من جهةِ اسمِهِ «أديب»، فهو أديبٌ شاعر، تدلُّ آثارُه على رفيع أدبه وعلوِّ بيانه، وأما من جهةِ لقبِهِ «التقيّ»، فهو تقيٌّ صابر، تَنِمُّ حياتُهُ على إخلاصه وتقواه.

وقد تنبَّه مؤلِّف هذا الكتاب – المهندس محمد باسم صندوق – لهذه الخَلَّةِ الحميدة، فَعَنْونَ فصولَ الكتاب بالإشارة إلى هذا العَلَمِ بـ «التقيّ»؛ ففصلٌ بعنوان: «التقيّ» معلِّمًا، وآخرُ: «التقيّ» شاعرًا، وثالثٌ: «التقيّ» ناثرًا، ورابعٌ: وطنية «التقيّ»، وخامسٌ: قيم «التقيّ»، وهكذا ...

لقد كانت حياةُ «التقيّ» قصيرةً نسبيًّا – فقد توفي رحمه الله عن خمسين عامًا – ولكنها على قِصَرها كانت غنيةً بالبذل والعطاء، مفعمةً بالهمة والنشاط. وهكذا العلماء، لا يُقاسُون بعدد سِنِيِّ حَيَواتِهم، ولا بعدد مصنَّفاتهم، ولا بعددِ أبيات دواوينهم، فرُبَّ مؤلَّفٍ صغير سَبَقَ المصنَّفاتِ الكبار، وبيتٍ من الشعر فاقَ القصائدَ الطوال. وإنما يقاس العلماء بآثارهم الباقية التي تخلِّد ذكراهم، لا يُخْلِقُها تَطاوُل الدهور، ولا يُهْرِمُها تراخي العصور، بل تبقى حيةً متجددةً على مَرِّ الأيام وكرِّها، واختلاف الأزمان وتَقَلُّبِها، يتميَّزون بها عن الناس بعد مماتهم، كما تَميَّزوا بها عنهم في حياتهم.

فهذا الإمام النووي – رحمه الله – توفي عن أربع وأربعين سنة، غير أنه خلَّف آثارًا باقيةً، لا تزال – بعد انقضاء أكثرَ من سبعةِ قرونٍ على وفاته – من أهم المراجع التي لا يَستغني عنها العلماءُ والمعلِّمون بَلْهَ الطلابَ والمتعلِّمين.

وهذا العالِـمُ النرويجيُّ (نِيلْز آبِل)، توفي عن سبعةٍ وعشرين عامًا، لكنه قدَّم في الرياضيات إسهاماتٍ لا نظيرَ لها، وإبداعاتٍ لا مثيلَ لها، خلَّدَت اسمَهُ وأدامت ذِكرَه.

ولو رُحْتُ أستقصي نظائرَ هذين العَلَمَيْن لطال بنا الحديث، ولكنَّ التمثيل يغني عن التفصيل، وربَّ قليلٍ أبلغُ من الكثير.

* * *

وُلد «التقيّ» من أبوين صالحين. وبدأ منذ كانت سِنُّهُ أربعَ سنواتٍ بحفظ القرآن الكريم، وكان وهو دون السابعة من عمره يتلو آياتٍ من الذكر الحكيم ويُنشد أبياتًا من شِعر الشريف الرضيِّ أمام أصحاب أبيه في مجالسهم، فكان بذلك محبَّبًا إلى نفوسهم. ومما

زادَهم حبًّا فيه، نجابةٌ باديةٌ عليه، وجَمالُ خِلْقةٍ أسبغها الله عليه.

وقَيَّض الله «للتقيّ» سيدَيْن جليلين رَعَياه في طفولته وفتوته تربيةً وتعليمًا؛ هما: العلامة محسن الأمين، والشريف صالح المرتضى، اللذان كان لهما الأثرُ البالغُ في تنشئته النشأة الصالحة، فتعلَّق قلبه بالمساجد، ووَلِعَ بالعلم، وعَزَفَ عما يتلهى به أترابه.

نالَ «التقيُّ» سنةَ ١٩٣٠ شهادةَ الحقوق من الجامعة السورية بدمشق، وأعدَّ رسالةَ الدكتوراه، فلما تهيَّأ للسفر إلى القاهرة لمناقشتها، عاجلته المنية في نيسان ١٩٤٥، غير أن رسالته طُبعت بعد وفاته، تغمده الله برحمته.

اشتغلَ «التقيُّ» بالتدريس، فكان مثالَ الأستاذِ الناصح والمربي المرشد. وكان في أثناء تدريسه يُذْكِي في نفوس طلابه روحَ العروبة ويَبْذُر بذورَ الوطنية، فأحدث ذلك صدًى كبيرًا في نفوسهم، حتى إنهم مزَّقوا صورةَ غورو التي كانت معلقةً في بهو إدارةِ مدرسةِ (البحصة) التي كان مديرًا لها، فأثار ذلك حفيظة أولي الأمر، ونُحِّي عن التدريس فيها، فدرَّس في الثانوية المحسنية، وصار مديرًا لها. ثم اضْطَرَّهُ كفاحُهُ ونضالُهُ إلى الهجرة إلى الأردن، فدرَّس في مدارسَ أهليةٍ في السلط ثلاث سنوات.

نَظَمَ رحمه الله الشعر حتى اجتمع من شعره ديوانٌ طَبَعَهُ سنة ١٣٥٠هـ، إضافةً إلى قصائدَ عديدةٍ نَظَمَها في جملة مناسبات، نُشِرَ بعضُها في المجلات، وبعضها الآخر بقي في ديوانٍ مخطوطٍ لم يَرَ النور.

أَلَّف «التقيُّ» أكثرَ من عشرين كتابًا في علومٍ مختلفة كالتاريخ والجغرافيا والفيزياء والرياضيات وسِيَر الأعلام ومناهج التربية والتعليم والنقد. وكتبَ عشراتِ المقالات في

معظم الصحف والمجلات التي كانت تَصدر في ذلك الوقت.

وكان «التقيُّ» يتقن اللغةَ التركيّة والفارسيّة والفرنسيّة؛ فترجم رواية «الوَجِيه المتحضّر» لموليير عن الفرنسية، و «رباعيات الخيام» عن الفارسية، إضافةً إلى ترجماتٍ أخرى نشرها في المجلات.

انتُخب «التقيُّ» عضوًا عاملًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، غير أن هذه العضوية لم تدم أكثرَ من سنتين، فخَلَفَه الأستاذُ الدكتور حسني سبح. وقد جرت العادة في المجمع أن يتحدث العضوُ الجديد في حفل استقباله عن سَلَفِه، فكان مما قاله الدكتور سبح في كلمته عن الأستاذ «التقيّ»:

"وسلفي – رحمه الله – كان ممن تربطني به صلةُ الصداقة. ومعرفتي به وإن لم تكن قديمة العهد راسخة، فقد أُتيح لي أنْ رافقته في رحلة مهرجان المعري، وقضيت بصحبته الساعات الطوال. والسفر – كما قيل – يُسفر عن أخلاق الرجال، فسبرتُ غورَ نفسِهِ واطَّلعتُ على ما تحلَّى به – رحمه الله – من سجايا طيبةٍ وأخلاقٍ رضيةٍ ونَفْسٍ أبيَّة، في جانبِ تفكيرٍ صحيحٍ وثقافةٍ عالية، وأدبٍ جمٍّ وشعرٍ رقيق، ناهيك عن وطنيةٍ صحيحةٍ وحَمِيَّةٍ لاهبة".

ثم أجملَ فقال: "كان رحمه الله أديبًا وشاعرًا تقيًّا، فصيحَ اللسان، واسعَ الاطلاع في علوم اللغة والتاريخ، عَذْبَ الحديث، محافظًا على المبادئ والأخلاق الإسلامية والقومية الصحيحة، أبيَّ النفس يَنتصر للحق، وفيًّا لأصدقائه فعَّالًا للخير".

* * *

وبعد، فإن لجنةَ المجمعيين الأوائل في مجمع اللغة العربية بدمشق عَهِدَت إلى السيد المهندس «محمد باسم صندوق» بإعدادِ هذا الكتاب، فنهضَ بهذه المهمة على خير وجه؛ فجَمْع مادة الكتاب من الكتب والمجلات والدراسات (واستعان بوجه خاص بمكتبة الثانوية المحسنية، ففيها مكتبةُ «التقيّ»، التي أهداها ذووهُ إليها)، إضافةً إلى أحاديثَ أجراها مع ابن «التقيّ» – السيد حازم التقي – ومع طلاب «التقيّ» وأبناءِ أصدقائه.

واستطاع المهندس «باسم» بأسلوبه المشوِّق أن يصوِّر لنا سيرةَ «التقيّ» تصويرًا حيًّا، أبرزَ فيها أخلاقَ «التقيّ» الحميدةَ وقِيَمَهُ الساميةَ ووطنيتَهُ الصادقة، وأن يَعرض آثارَه الشعريةَ والنثريةَ عرضًا ممتعًا دونما إخلال أو إسهاب، فله خالص الشكر على ما بذله من جهودٍ مخلصة في إعداد هذا الكتاب.

ورحم الله الأستاذ «التقيّ»، وجزاه خيرَ الجزاء كِفاءَ ما قدَّمه للعربيةِ وأهلِها.

* * *

مقدمة المؤلف

لَـمْ أكنْ أعرف أنَّ نصفَ قرنٍ من عمري سوف يُختم بتحقيق حلمٍ من أحلامي الكثيرة التي لا يتَّسع لتحقيقها دهرٌ كامل، كنتُ أنظر إلى أشخاصٍ سمعتُ عنهم أو قرأت بإعجاب واستغراب؛ فقد عاشوا على ظهر هذه الأرض مدَّةً أقصر من زمن إنجازاتهم وإبداعهم.

ومِن هؤلاء بكلِّ فخرٍ واعتزاز المرحومان العلامة السيد محسن الأمين والأديب والشاعر أديب التقي البغدادي رحمهما الله، وهما كلاهما انتُخب عضوًا عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق*.

ولعلَّ من محاسن الأقدار وأسعدها أنْ حباني الله بفرصة التعرُّف الوثيق إلى هذين العَلَمَيْن الكبيرين من خلال التراث المحفوظ في الجمعية المحسنية بدمشق، فإذا بالكلمات التي خطَّها السيد الأمين بريشته تحفُّ بي، وإذا بالوثائق والصور والرسائل تحت بصري، وإذا بالإرث الكبير لمكتبته الزاخرة بين يديَّ وفيها مكتبة المرحوم التقي المهداة. فأصبحتُ كالحالم بكأس من ماء معين وإذا به يُلقى في غديرٍ من ماءٍ نمير.

هذه التجربة جعلتني أمام خيارين: الأول الاستسلام لاجترار أمجادِ هؤلاء الأشخاص وعرضها وتنسيقها وترتيبها...، والثاني العبّ من هذا البحر واستخراج لآلئه وجواهره، وعَرْض تحفه ودرره. فآثرت الخيار الثاني وجعلت من شخصَيْهما وشخوص مَن ساروا على دربهما نبراسًا وقدوة لي رجاء أن أصل إلى مواطئ أقدامهم.

* التسمية السابقة لمجمع اللغة العربية بدمشق.

وإنني إذ أحمد الله أولاً وآخرًا على ما حباني به من نعم، وكرَّمني – وإن لم أكنْ أهلاً لذلك – بما شاء من مِنَن، أتوجَّهُ إلى أديبنا «التقيّ» مخاطبًا:

لقد رافقتَني في محنةٍ قاسيةٍ ألَّت بي، وكنتَ معي عندما بكيتُ على أمجاد أمة أراد لها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس، فأبتْ وآثرتْ أن تتشظَّى إلى طوائف وفِرَق ومذاهب شتّى. وستبقى نُصبَ عينيّ وأنا أبثُّ – ما استطعتُ – الخير والنفع والعلم والفائدة لمن حولي كائنًا مَن كان، لأنه من عطاء الله سبحانه ولعباد الله. وهذا ما دأبتَ عليه عمرك.

أما أولئك الذين أكرموني بتحقيق هذا الحلم، فلهم جزيل شكري وامتناني وعرفاني؛ وأخصُّ منهم بالذكر السادةَ أعضاء لجنة المؤسِّسين في مجمع اللغة العربية؛ الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد، والأستاذ الدكتور مازن المبارك، والأستاذ مروان البواب.

والله أسأل أن يتقبّل أعمالنا.

والحمد لله رب العالمين

المهندس محمد باسم صندوق

دمشق ٢٠١٣

الإهداء

إلى روح والدي العزيز

من بواكير ولدك البارّ

صلاةً ودعاءً وصدقةً جارية

محمد باسم

وَالمِسْكُ مَا نَمَّ عَلَيْهِ الشَّذَا لا مَا غَلا في نَعْتِهِ بائِعُه

أديب التقي البغدادي

الفصل الأول
حياته

أولًا: نسبه وأسرته

نسبه

هو أديب بن سعيد بن سليمان التقيّ البغداديّ، ولد سنة (١٣١٣هـ) الموافق لسنة (١٨٩٥م) في قرية «الشبعا» إحدى قرى قضاء حاصبيا في لبنان اليوم، وكانت آنذاك تتبع لولاية الشام.

كان جدّه «سليمان» تاجر عباءات، ينطلق ببضاعته من بلده «بغداد» إلى مختلف البلدان المجاورة. وقد وفّرت له هذه الرحلات التجارية القيام بإحدى وعشرين حجّة. وعرّج ذات مرّة وهو عائدٌ من الأراضي الحجازيّة على دمشق، فتعرّف فيها أسرةَ «شحادة» الشامية، وأصهر إليها، واتّخذ من دمشق موطنًا جديدًا له بدلًا من بغداد[1].

ولا يُعرف بالضبط متى كانت هذه النّقلة، ولكنّ الأظهر أنَّها كانت في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وكذلك لا نعرف عن حياة الأسرة في موطنها الأصل بغداد شيئًا يمكن الاعتماد عليه والوثوق به.

وقد ولد لسليمان التقيّ ثلاثة أنباء: ذكران هما: سعيد وعليّ، وأنثى هي آمنة.

---

(١) تراجع المصادر التالية: http://www.almoajam.org/poet؛ الأعلام، ج١، خير الدين الزركلي، طبعة بيروت (١٩٩٠م) ص(٢٨٦)؛ ومقال المجمع العلمي العربي المجلد (٢١) ص٣٦٩ – دمشق (١٩٤٦م)؛ وأعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، د. محمد عبد اللطيف الفرفور ص (٢٩)، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م؛ ودراسة بعنوان «أديب التقي البغدادي حياته وأدبه»، إعداد الأستاذ محمد هندية من جامعة دمشق، دارسة أعدّت بإشراف الدكتور شكري فيصل للعام الدارسي ١٩٥٨-١٩٥٩م. وجاء في معجم المؤلفين للأستاذ عمر رضا كحالة أن ولادته عام (١٣١١هـ).

والده

«سعيد التقي» نعلم عن حياته النّزر اليسير؛ فهو أميّ، ولكنّه على جانب كبير من التّقى والورع والتديّن. وقد كان موظفًا عند الدولة «مأمور أحراج»، وكان تبعًا لوظيفته هذه ينتقل من مكان إلى مكان.

كان سعيد هذا خفيف الروح حاضر النكتة، سريع البديهة، وقد توفّي في اليوم الثالث والعشرين من شهر شباط سنة (١٩٢٧م).

والدته

«فريدة معتوق» لا يعلم عنها إلا يوم وفاتها وهو الرابع عشر من شهر كانون الثاني عام (١٩٢٧م)[١].

وقد تأثّر «التقيّ» رحمه الله لفقد والديه في سنة واحدة، فقد كان بعيدًا عنهما حين وفاتهما، لأنّه كان فارًّا من وجه الفرنسيين. وقد وصل نبأ نعيهما إليه في خبر واحد[٢].

سبب تسميته بـ«أديب»

يحدثنا «حازم» ابن الشاعر أن سبب تسمية والده بـ «أديب» هو: أنَّ ثمّة ثلاثة أبناء

---

(١) من حديث مع ابنه «حازم» جرى بالشابكة (بالإنترنت)، وهو الوحيد الحيّ من عائلته. ولد عام ١٩٤٣م، ثم سافر إلى صيدا في لبنان في صغره مع عائلته ومنها هاجر إلى كندا.

(٢) يقول «التقي» في قصيدة «يا والديّ» من ديوانه المطبوع: «نُعيَ إليّ والداي في شهر واحد، وأنا في الأردن، فكانت هذه الأبيات رجع صدى لتلك الصرخة وذلك النبأ، ومطلعها:

إنْ غبتِ يا شمس فلا ترجعي وأنتَ يا بدرُ فلا تطلُعِ»

ديوان التقي ص(٢٠٥) الطبعة الأولى مطبعة ابن زيدون. دمشق.

للأسرة قضوا وهم في مدارج الطفولة، فأسلم والدُه أمره للخرافات المتداولة شعبيًّا، واختار لمولوده الجديد اسمه هذا، لأنّه - كما يقال في لهجة أهل الشام - فإن «أديب» تُلفظ مخفّفةً بحذف الهمزة؛ أي «ديب»، وهي المخفّفة عن كلمة «ذئب». وحسب الخرافات، فإن الذئب من أطول الحيوانات عمرًا، لذلك فهم يتفاءلون بطول عمر من يحمل هذا الاسم[1].

زوجته وأولاده

تزوّج «أديب التقيّ» من ابنة عمّته «خاتمة عسيران»[2] من عائلة «عسيران» المشهورة في صيدا[3]. وقد رزق منها بأربعة أولاد، هم: سهيلة وشكر ووائل وحازم، ولم يبق منهم على قيد الحياة اليوم سوى أصغرهم حازم، ويقطن حاليًّا في كندا مع عائلته.

وفي ختام المطلب يحسن بنا أن ننقل ترجمة شاعرنا «التقيّ» كما خطّها هو بنفسه. وهي منشورة في مجلة العرفان المجلد الحادي عشر - الجزء العاشر عدد ذي الحجة (١٣٤٤هـ) الموافق لشهر حزيران (١٩٢٦م)[4]. وهي:

«ولد في الشام سنة ١٣١٣هـ، وتخرّج من المدارس التركيّة السّلطانيّة والعالية، ودَرَسَ الآداب والعلوم العربية والدينية على العلامّة الكبير «السيد محسن الأمين

(١) من حديث مع ولده «حازم»، وهو مقيم في كندا.

(٢) يصف «حازم التقيّ» والدته بالقول: «هي فتاة ذات جمال معتدل، وطباع هادئة، ويد سموح كريمة، وهي على جانب كبير من الثقافة تجيد الإنكليزية قراءة وكتابة». من حديث مع السيد حازم.

(٣) من دراسة الأستاذ «محمد هندية». جامعة دمشق عام ١٩٥٨-١٩٥٩م. ص(١).

(٤) سيأتي التعريف بمجلة العرفان عند الحديث عن «التقي ناثرًا».

العاملي»[1]، وعُيّن معاون مدير المدرسة السلطانية «التجهيزية» بدمشق سنة (١٣١٣هـ)، ثم ضابطًا - ملازمًا ثانيًا - في الجيش العثماني الثاني في قفقاسية أثناء الحرب الكبرى، ثمّ أستاذًا للتاريخ والجغرافية في مدرستي التجهيز والمعلمين بدمشق، ثم عضوًا لديوان الترجمة والتأليف في وزارة المعارف بدمشق، حيث كان يُصدر «مجلة التربية والتعليم»[2] الرسمية - مجلة وزارة المعارف يومئذ - هو وزميله الفاضل السيد عزّ الدين علم الدين، ثمّ مديرًا لمدرسة (أنموذج البحصة)، وعضوًا في لجنة المؤلفات المدرسية في فرع التاريخ والجغرافية، ثمّ مديرًا للمدرسة العلويّة الإسلامية بدمشق، ثم مديرًا ثانيًا وأستاذًا للتاريخ والجغرافية في قسم التجهيز من مدرسة السلط التجهيزية، وله عدّة مؤلفات مطبوعة وغير مطبوعة...».

وعند البحث عمّن يعرفه اليوم من الأحياء - أطال الله عمرهم - قادنا البحث إلى أحد الثقات؛ فقد حدّثنا الدكتور: أحمد الحكيم[3] ابن صديق عمره الدكتور أسعد الحكيم، الذي كان عضوًا في مجمع اللغة العربية عن صفات «التقيّ» قائلًا: «كان التقي

---

(١) ستأتي ترجمته والحديث عنه عند الحديث عن أشياخه.

(٢) مجلة التربية والتعليم: صدر العدد الأول منها في كانون الثاني عام (١٩٢٠م) الموافق لشهر جمادى الأولى للعام (١٣٣٨هـ) ومكتوب على غلافها: وزارة المعارف، مجلة تهذيبية شهرية لمنشئها ومديرها عز الدين علم الدين كاتب أسرار المجمع العلمي العربي بدمشق. وقد طبع هذا العدد في مطبعة المفيد بدمشق. قياسها (١٦×٢٢) وعدد أوراقها ستون ورقة تقريبًا في العدد الواحد، وتحوي أبحاثًا تربوية بعضها مترجم، قام «التقيّ» بترجمته. وسيرد الحديث في ذلك في فصل «التقي ناثرًا ومترجمًا».

(٣) د. أحمد أسعد الحكيم من مواليد (١٩٢٥م) في دمشق، وسيرد الحديث عن والده لاحقًا. وهو طبيب عمل في دمشق. وكان هذا من حديث جرى معه في مقابلة.

أقرب إلى الطول أميل إلى السِّمَن في جسمه ممتلئًا، أبيض البشرة، أزرق العينين، خرنوبيّ الشعر، وكان في طبعه يجنح إلى الجدّ، جلودًا على العمل، صبورًا على المكاره، يؤثر الفكاهة الأدبية الرفيعة ذات المغزى النبيل، محافظًا على ما أُثر عن الأجداد، ناقدًا لما يجد فيه من خلل». وهذا بعض حديثه الذي استفاض فيه عن ذكريات والده مع «التقيّ».

وقد أصيب «التقيّ» في السنوات العشر الأخيرة من حياته بمرض «النقرس» وكانت تنزل به نوبات ألم شديدةٌ جدًّا. حتّى إنَّه أطلق الرصاص على قدمه اليمنى في إحدى هذه النوبات ليتخلّص من ألمه فأصاب إبهامه. وقد انضاف إلى هذا في السنة الأخيرة من عمره مرض السرطان، فراح يتداوى في مشافي بيروت دون جدوى، ووافته المنيّة في العشرين من شهر نيسان سنة ١٩٤٥م، ودفن في دمشق في مقبرة «الباب الصغير»[1].

(١) من حديث جرى مع ابنه حازم. وكذلك وردت هذه المعلومات في دراسة الأستاذ هندية ص (١٢)، وهي دراسة جامعية أعدّت عن حياته وأدبه عام ١٩٥٨-١٩٥٩م، جامعة دمشق.

ثانيًا: تحصيله العلمي وأشياخه

قبل المدرسة

«لا يُعلم بالضبط أين قضى الشاعر سنيّه الأولى، وأغلب الظنّ أنّه تنقَّل على ذراعيّ أمّه من بلدٍ إلى بلد؛ سائرة إلى جانب زوجها حيث يسير، حاطّة معه حيث يحطّ، وبعد أربع سنوات من ولادته نعلم أنَّه كان يضع على كتفه «التَّوْب»[1] الذي يتدلى حتى يكاد يلامس الأرض، مسرعًا خلف أبيه إلى المسجد في حيِّ «مئذنة الشحم».

ويتحدّث القريبون منه أنّه كان محبَّبًا إلى نفوس أصحاب أبيه، وكان ممّا يحبّبه إلى النفس نجابةٌ باديةٌ في ولع بالعلم، وتعلّق بالمساجد، وجمال خِلْقةٍ ترتاح إليها العين. وممّا زاد في حبّ ذوي الرشْد له أَنَّهُ كان هادئًا عازفًا عمَّا يتلَهّى به أترابه عادة.

ولعلّ والده سعيدًا رسم صورة خياليّة عن مستقبل ابنه الوحيد؛ فكان يبالغ بهندامه وأناقته حتى يبدو في بيت الله عزّ وجلّ كحمامة صغيرة يسارع إليها كلّ من يؤم المسجد من أصحاب أبيه؛ فيلقّنه آية من القرآن الكريم، فيطرب إلى ترجيعها من حنجرة نديّة، أو يلقي عليه شيئًا من شعر الشريف الرضيّ ليصل إلى مسامعه ترديده من طفولة فصيحة غضّة[2].

---

(١) التوب: قطعة من القماش تخاط بحجم القرآن الكريم وتوضع على الكتف تَحفظ القرآن ويسهل حمله فيها.

(٢) من دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٢) بتصرف.

ويحدّثنا الشاعر نفسه عن هذه المرحلة المبكّرة من عمره، وعن تصرّف والده معه بقوله:

«كنتُ أُصْغي إلى أشعار «الرضي» تُتْلى في مجالس أهلي، وحلقات بني قومي وأنا دون السابعة من العمر، وكان والدي كثير الزوّار والطرّاق؛ وكان يسرّه أنْ أقرأ أو أخطب أو أنشد أمام أصدقائه وأنا في تلك السنّ تشجيعًا لي وترغيبًا وذهابًا مع زهوّ النفس، إذْ كنت أوّل ولد عاش له، ونَعِمَ بسماعي أقرأ أمامه وأتلو آيات القرآن أو أبيات الشعر.

وكان طبقةٌ من أصدقائه مولعين بالشّعر يتلونه أو ينشدونه كلّما سمروا، وكلّما اتّسع عليهم مجال السّهر. وكان لدى بعضهم مجموعات مخطوطة فيها منتخبات لشعراء مختلفين،... يغنّون منها أمامي فأطرب لغنائهم، ويستهويني الإنشاد لها؛ فأحفظ في اليوم الثاني بعض ما كانوا يغنّونه وأكرّره بيني وبين نفسي، ويعلم بذلك والدي فيستعيدني إيّاه ويضحك من إنشادي وقرزمتي[1]، ويسرّ باستظهاري لتلك المقطوعات، ويكرمني لذلك...»[2].

وممّن أثّر في شاعرنا «التقيّ» – رحمه الله – تأثيرًا قويًّا منذ طفولته وفي بقيّة عمره،

(١) قَرْزَمَ الشاعرُ شعرَه: جاء به رديئًا، والقِرْزام: الشاعر الدُّون، محيط المحيط ص(٧٣٦)، بطرس البستاني، طبع مكتبة لبنان.

(٢) من كتاب «الشريف الرضي عصره وحياته منازعه أدبه» لأديب التقي البغدادي. الطبعة الأولى ١٩٦١م، ص(٦).

«الشريف السيد صالح المرتضى»[1]. وقد حدَّثنا الشاعر «التقيّ» عن هذا التأثير من خلال ما جاء في مقدمة كتابه: الشريف الرضي عصره، حياته، منازعه، أدبه، بقول:

«وكان عمّي أحسن الله إليه، يقصد في صباح كلّ جمعة إلى ندوة الخطيب المفوّه المرحوم السيد صالح مرتضى في حيّنا، فيرغب إليّ وأنا يومئذٍ يافع أن أرافقه إلى هذه الندوة، فنستمع إلى آي الذكر الحكيم يردّدها المقرئ، وإلى السيد صالح صاحب الندوة يهدر كالفحل وهو يلقى السامعين بكلام من نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يفعل في النّفوس فعل السّحر، ثمّ يربطه بقضايا من التاريخ الإسلاميّ والعربيّ، أو يطلع على الحاضرين بمرثيّة بالغة من مراثي الشَّريف الرضيّ في جدّه الحسين بن علي، فيقرع بها الآذان والقلوب، ويَنفذ بصوته الجهوريّ إلى أعماق الصدور والشعور، فيترك فيها أثرًا أثبت الواقع أنَّ الأيام والحوادث لم تقوَ على زعزعته من النفس أو محوه من الذاكرة.

وهذه المجالس التي كنّا نحضرها في ندوة السيد صالح كانت من أقوى المشوّقات

---

(١) السيد صالح المرتضى «أبو داود» أحد أصحاب العلامة السيد محسن الأمين، كان صديقَه رغم فارق العمر بينهما. وقد رثاه «التقيّ» في الديوان بقصيدة عنوانها «لوعة حزن» قدّم لها بالقول:

«هذه كلمة وفاء أعدّت لتأبين الحسيب النسيب الصديق الفاضل المرحوم السيد صالح مرتضى الحنفي، وكان رحمه الله شهمًا كريمًا، وخطيبًا مصقعًا، قويّ الحجّة، بعيد النّظر ذكيًّا، سريع الخاطر، توفّاه الله بدمشق سنة (١٣٢٨هـ) ». يقول في مطلعها:

مضى الردى بربيب المجد والشرف ... إنَّ الورى لِسِهامِ الموتِ كالهدفِ

ديوان التقي ص(١٩٢)، الطبعة الأولى عام ١٩٣٢م، مطبعة ابن زيدون، دمشق.

لي ومن أشدّ المرغبات...».

في المدرسة

«يقول التقيّ» عن نفسه إنّه حصل على مبادئ القراءة والكتابة والحساب في مدرسة «الأرثوذكس» في قضاء عجلون في «حوران»[1]، وعندما رجع والده إلى دمشق أدخله في مدرسة «الحبالة»؛ وهي إحدى المدارس الحكومية الرسمية الابتدائية[2]، ويظهر أنّه دخلها وهو في العاشرة من عمره. وبعد أن حاز على الشهادة من الدرجة الممتازة[1] أدخله والده الإعدادية الملكية، ولَمَّا قارب أن ينال الشهادة منها تحوّلت المدرسة من إعداديّة إلى سلطانية، فزادت مدّتها خمس سنوات فأصبحت اثني عشر صفًّا بعدما كانت سبعة، فاقتضى الأمر أن يكمل حتى حاز على الشهادة السلطانية من الدرجة الأولى، وكان خلال هذه المدّة مثال الجدّ والاجتهاد، والغيرة والنشاط...»[1].

إجازة التعليم والتدريس

بعد نيله الشهادة السلطانية داوم على دروس التطبيقات التعليمية في مدرسة «دار المعلمين البيروتي» فحاز إجازةَ التعليم والتدريس، ثمّ دخل في امتحان (البكالوريا آ)

(١) ذكر الأستاذ «محمد هندية» في دراسته أن هذه العبارة من مخطوط كتاب «الشريف الرضي»، ولكنني لم أجد في الكتاب المطبوع هذه العبارة.

(٢) ذكر الأستاذ «محمد هندية» أنها منقولة عن مخطوط كتاب بعنوان «أبو تراب». وهو مفقود ويا للأسف. دراسة الأستاذ «محمد هندية» ص(٣).

العمومية»[1].

إجازة الحقوق

ترك شاعرنا «التقيّ» الدراسة المدرسية المنتظمة ليعود إليها بعد عشر سنوات، فيدرس في الجامعة السورية، وينال شهادة الإجازة فيها سنة (١٩٣٠م) وقد جرى في السنة المذكورة في الجامعة السورية احتفال لتوزيع شهادات كليّتي الحقوق والطبّ، فانبرى الشاعر «التقي»-وقد كان أحد الخرّيجين-إلى قلمه وقرطاسه، ونسج قصيدة هي من أطول القصائد الموجودة في الديوان المطبوع. يقول فيها:

ثمراتٌ هي للقطفِ دواني أيّ عذر بعد ذا للمتواني[2]

الدكتوراه

بعد مضي عشر سنين على نيله شهادة الحقوق، عمل على إعداد شهادة الدكتوراه التي اختار لها كتابه: «الشريف الرضيّ: عصره، حياته، منازعه، أدبه». وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاته لأن الأجل لم يسمح له بذلك.

يقول رحمه الله عن هذه الدراسة:

«... على أنّني إذا كنتُ ذكرتُ طرفًا من تلك الحوافز التي أهابت بي إلى البحث

---

(١) من حديث مع ابنه حازم.

(٢) القصيدة بعنوان: «لأجل الجامعة» صدى الوداع، وهي في ديوان التقيّ في الصفحة (١٦٣)، الطبعة الأولى، مطبعة ابن زيدون، عام (١٩٣٢م). وقد مزج في هذه القصيدة بين اختصاصَي الطبّ والحقوق، وذكر فيها عمالقة كل علم، ثم مدح الجامعة التي قربت بين أبناء العروبة كل بعيد.

عن الرضيّ وأدب الرضيّ بهذه الصورة التي يعرضها هذا الكتاب وتعكسها صفحاته وسطوره، فمن الواجب المحتَّم عليّ أن أشيد هنا وأنوّه بفضل جامعة فؤاد بمصر وكلية الآداب فيها لاستثارتها فيَّ كوامن الهمّة والنشاط بعد ركود طويل... وإفساحها لي المجال لتقديم هذا الكتاب إليها أطروحة لإِحراز شهادتها العالمية (الدكتوراه)، فقد كانت بذلك حافزًا لي من أشرف الحوافز، وباعثًا من أنبل البواعث....»[1].

أمّا السيد محسن الأمين العاملي[2] الذي كان في مدينة دمشق في الحيّ الذي ينسب اليوم إليه؛ فقد جاوره شاعرنا «التقيّ»، فكان من بين المجموعة التي خصّها السيد الأمين بما عنده ورعاها، وقد اختلف إليه «التقيّ» منذ أيام دراسته الثانوية، «فقرأ عليه علوم النحو والمنطق والمعاني والبيان والبديع ومبادئ أصول الفقه، وشيئًا من الفقه والتفسير والشّعر. وتتحوّل هذه التلمذة إلى صداقة قويّة بين الفتى وشيخه فيثابر على الغرْف من معارفه طول حياته، وما زال مثابرًا على ملازمته والغرْف من شرعته لليوم...»[3].

ويذكر «التقي» في مقدمة كتابه «الشريف الرضيّ» دور السيد محسن الأمين المؤثر فيه

---

(١) من مقدمة كتاب الشريف الرضي لأديب التقي البغدادي ط١، ١٣٨٠/ ١٩٦١ ص(١٢).

(٢) السيد محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين المولود عام ١٢٨٢هـ الموافق ١٨٦٥م. والمتوفى ١٣٧١هـ الموافق١٩٥٢م. مؤسس الثانوية المحسنية بدمشق، له تآليف في شتى العلوم، وهو من مجتهدي الشيعة الإمامية، أقام في دمشق قرابة خمسين عامًا من حياته وألّف وعمل فيها، وانتخب عضوًا عاملًا في المجمع العلمي.

(٣) نقلها الأستاذ هندية في ص(٤) عن مخطوط مفقود للتقي عنوانه (أبو تراب).

عمومًا في ثقافته وعلمه، وخصوصًا في النقد الأدبي لشعر الرضيّ بقوله:

«... وكان أستاذنا الكبير العلّامة الجليل السيد محسن الأمين... اتجهتْ أنظاره بعد إتمامنا دراسة علوم البلاغة عليه إلى تدريسنا النقد الأدبيّ على شعر السيّد الرضيّ، فلقي ذلك هوًى ملحًّا في نفسي، وحقّق رغبة شدّ ما جريت وراء تحقيقها، ووثّق بذلك علائق بين أمانيّ الجديدة المنبعثة عمّا طبعته في نفسي من ارتسام مجالس السيد صالح، وحلقات الإخوان والزوّار...»[1].

ويتابع في بيان فضل العلامة الأمين عليه قائلًا:

«... وإذا كانت مراحل الحبّ تتتابع وتَتوالى على النّسق الذي يشير إليه بيت المرحوم شوقي:

نظــرةٌ فابتســامةٌ فســلامٌ فكــلامٌ فموعــدٌ فلقــاءُ

فإنّ أستاذنا العلامة حقّق لنا الوصول إلى النصف الثاني من طريق الحب هذه، وأخرجنا - حفظه الله[2] - في حبّنا للرّضيّ من مراحل النظر والابتسام والسلام إلى مراحل الكلام والوعد واللقاء، وجاز بنا من شطر الحبّ الصّامت إلى شطره النّاطق...»[3].

أمَّا شعرًا؛ فقد ضمّ ديوان «التقيّ» قصيدتي مدح للسيد محسن الأمين:

الأولى قدّمها عرفانًا منه لدوره العظيم فيما وصل إليه، فقد أهدى إليه كتابه:

---

(١) كتاب «الشريف الرضي» لأديب التقي البغدادي، ط الأولى ١٩٦١م. ص (٧).

(٢) كان السيد محسن حيًّا في حياة التقيّ الذي توفّي قبله بسبع سنين.

(٣) المصدر السابق ص (٧).

«مناهج التربية والتعليم»، مع ستّة أبيات شعريّة ذكر في تقديمها:

«كتبتُ هذه الأبيات في صدر كتابي «مناهج التربية والتعليم» باكورة مؤلّفاتي، وقد قدّمته إلى العلّامة الجليل السيد محسن الأمين». ومطلع القصيدة:

«أبـا بـاقر» أوليتنـي نِعَـمًا كثـرا وفضْل أيادٍ لا أطيقُ لها شكرا[1]

أمّا الثانية التي اختار لها عنوان «نورٌ تألّق»، فقد قدّمها له وذكر في تقديمها: «هذه الأبيات كالتي قبلها قُدّمت إلى العلّامة -الأمين-... و«شقراء» موطنُه في جبل عامل، وقد نشأ فيها....» يقول فيها:

نُـورٌ تَـأَلّق مِـنْ شـقراء مُـذْ لَمَعـا بِـه العـراقُ أضـاءتْ، والشَّـامُ معـا

المحسِنُ المرتقـي فـوق السّـماكِ عـلًا للهِ أيّ ثنايـا للعُـلا طَلَعـا[2]

ونجد في الديوان المطبوع قصيدة ثالثة بعنوان «وفاء بحقّ» ذكر في تقديمها ما يلي:

«هذه الأبيات جاءت جوابًا لأبيات خصَّني بها السيّد السند الجليل العلامة محسن الأمين العاملي، وله أيادٍ عليّ لا يقوم بها ما ضمّنْتُهُ هذه المصاريع والقوافي وما يليها من بيان. وأين تقع أقوالي هذه من القول المأثور: مَنْ علّمني حرفًا كنت له عبدًا». جاء فيها:

«أبـا بـاقر» تفـديك نفسي- إنّنـي أرى فيك مدحي قاصرًا، ونسيبي[3]

---

(١) ديوان «التقيّ». ص(١٨٨). الطبعة الأولى عام ١٩٣٢م، مطبعة ابن زيدون.

(٢) ديوان «التقيّ». ص(١٨٩). الطبعة الأولى. مطبعة ابن زيدون.

(٣) ديوان «التقيّ» ص (١٨٣). الطبعة الأولى. مطبعة ابن زيدون.

وفي ديوان السيد محسن الأمين المسمّى: «الرحيق المختوم في المنثور والمنظوم» القسم الثاني ص(٩٦)، والمطبوع سنة (١٣٤٨هـ) في دمشق، باب للملح والنوادر، وقد أورد السيد الأمين أبياتًا

ثالثًا: الجندية

ما كاد «التقيّ» يتمّ تحصيله الثانويّ، حتّى أكره على الذهاب إلى الجندية في الحرب العالمية الأولى.

ولا بأس أن نرافق الشاعر في هذه الرحلة الطويلة التي ذاق فيها من ألوان العذاب والفراق والغربة ما عاناه حتّى أدى به الأمر إلى التفكير بالهرب والتخفّي!

ولقد أثّرت هذه الفترة في حياة الشاعر «التقيّ» بالغ التأثير فيما ظهر من شعره ونثره، وإن كان مجموع ما وصلنا حول تلك الفترة ليس قليلًا؛ إلا أنني أعتقد جازمًا أنه ليس كلّ ما قاله في رحلته هذه وعنها[1].

صدّرها بالقول:

«... وكان الأديب التقيّ قد عزم على السفر إلى جباع للتنزّه مع جماعة، فجاءه مولود فتأخّر عن السفر، فقلتُ على سبيل المطايبة: =

= وهب الإلهُ أديبنا مولودا فأضاف للعيد المبارك عيدا

فاهنأ به يا ابن التقيّ ودمْ وعشْ في نعمة عمرَ الزمان سعيدا

واذبح له يا ابن الكرام عقيقةً تشفي الغليل وتبلغ المقصودا

وللقصيدة تتمّة، وردٌّ من التقيّ، واستئنافٌ من السيد الأمين الذي كنيته «أبو باقر».

(١) بالعودة إلى الديوان المطبوع في حياة التقيّ عام «١٩٣٢م» نجد إحدى عشرة مقطوعة شعرية عن الحرب، بعضها وضعه تحت عنوان «من خواطر الحرب»، وبعضها الآخر لم يضعْه. وقد بلغ مجموع أبيات هذه القصائد (٢٧٢) بيتًا.

وعند العودة إلى الدراسة التي أعدّها الأستاذ محمد هندية عام ١٩٥٨-١٩٥٩م، وهي الأقرب إلى تاريخ وفاته، نجد أبياتًا لم تذكر في القصائد المطبوعة أو أنها طبعت بعد إعادة نظر، وهذا يُدلّ على

ويصحّ القول: إن «التقيّ» قد أرّخ لرحلته هذه في كلّ مراحلها ابتداءً من الوداع والفراق، ثمَّ الطريق وحديث الذكريات، ثمّ الأحداث التي جرت معه، والبلاد التي حلّ فيها، ثمّ هربه وتخفّيه عن أنظار الأتراك.

الوداع والطّريق

وقف «التقيّ» العزيز على قلب والديه في محطّة الحجاز، وإلى جانبه والداه يذرفان الدموع؛ وهو يُصبِّرهما على فراقه، ويلقي على مسمعيهما بعض ما يشجّعهما، وإنّه لمنظرُ يعلق بالذَّاكرة حقًّا لما فيه من الشحنات العاطفيّة القويّة فيقول: «وما أزال أذكر بحرقةٍ وشجًا كيف تساقطت دموع والديّ يوم ودّعتهما ذاهبًا إلى ميدان القتال وأنا أردّد على مسمعيهما:

وَمُنْيتي في النّوى والقرب واحدةٌ إذا تكافأت الغايات والسُّبل»[1]

وقد نظم «التقيّ» قصيدة يوم غادر دمشق إلى القسطنطينية بعنوان: «وداع دمشق»، وهي الأولى في ترتيب قصائد ديوانه الذي طبعه عام (١٩٣٢م) وتقع في ثمانية وعشرين بيتًا[2]، ومطلعها:

أن «التقيّ» قد انتقى وتصرّف بما لديه وطبع ما استحسنه منها فقط. والأمر نفسه فيما يخصّ المقاطع النثريّة.

(١) دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٤)، وقد نقل نصّ «التقيّ» عن مخطوط كتابه المسمى: «الشريف الرضي». وعند العودة إلى الكتاب المطبوع بعد وفاته عام ١٩٦١م نجد بيتَ الشعر – للشريف الرضيّ – ولا نجد قوله المذكور.

(٢) ديوان «التقيّ» ص(١٦). الطبعة الأولى (١٣٥٠هـ-١٩٣٢م) مطبعة ابن زيدون.

شـذاكِ أم المسـك الفتيـت يضـوعُ لــه بيننــا أنّــى نحــلّ ســطوعُ
رَحَلْنـا ولكـنْ في القلـوب تلفّـتٌ إليــكِ، ولم يســكن لهــنّ ولــوعُ

وفي دراسة الأستاذ هندية ذكر في الصفحة الرابعة أربعة أبيات من القصيدة لم تطبعْ في الديوان[1].

وفي بلدة «معدن» من ولاية «ديار بكر» خطرت له سانحة على ضفاف النّهر والوادي، فتذكّر دمشق ونهرها بفروعه وقنواته، ونبّها أنينه وشوقه وشكواه مما يلاقي في قصيدة «الذكرى» التي يقول فيها:

بــدتْ لي هــذه الــدّنيا فتــاةً رأيـت بجيـدها الفيحـاء عِقْـدا
وليســت جلّــقٌ إلا جنانًــا تقلّ قصورها حُــورًا وولْـدا[2]

في بلاد الحرب

«ويتساءل الفتى بعد أن حطّتْ به الجنديّة في اسطنبول» عن جدوى البكاء والدّموع:

هلْ بعْد أن جدّ الرحيلُ بهـم نَـوْحُ الفتـى وبكـاؤه مجـدي

فيمنع عينيه عن أن تذرف دمعها، ولكنّه وقف عاجزًا أمام حنينه القويّ المعتلج في صدره، فنادى عن بعد:

يـا جـيرة نزلـوا عـلى «بـردى» وحيــاتكم إنّي عــلى عهــدي

(١) دراسة الأستاذ هندية ص(٤١).

(٢) من قصيدة «الذكرى» ديوان «التقيّ» ص(١٨).

لكُـمُ تتـوق الـنفس عـن كثـبٍ فـالآن كيـف بهـا عـلى البعـد!

وتسلّك في «اسطنبول» رتبته العسكرية: «كوشك ضابط»[1] وسعد برتبته هذه، ولكنّها ممزوجة بفرقة الأحبّة:

فلْـيهْنَ بالفيحـاء عيشـكُمُ إنّي أغَصُّ بعيشةِ الرّغـد[2]»

وفي «القسطنطينية» حيث أقام فترة من الزمن ذاق فيها كلّ ألوان العذاب، وفنون الغربة، حتّى انطلق لسانه بما لاقاه في قصيدة «وداع فَرُوق» من ديوانه المطبوع، التي يقول في تقديمها:

«فَرُوق: القسطنطينية، وكان هذا الوداع، عند خروجنا منها إلى القفقاس أيام الحرب الكبرى» يقول فيها:

ألا قـومي «فَـرُوقُ» فودّعينـا رحلنـا عنـك لسـنا آسـفينا

لقينـا في ربوعـكِ كـلّ ضرٍّ ألا للهِ مـا بـك قـد لقينـا[3]

وبعد أن يغادر «القسطنطينية» يقصد «القفقاس» فتزيد معاناته إلى حدّ أنّه يضطرّ مع رفاقه إلى أكل عشب الأرض، ويسجّل هذه المعاناة في قصيدة عنوانها «ذكريات القفقاس» قدّم لها بالقول:

«القفقاس: يراد بها البلاد التي إلى شرق الأناضول الممتدّة من البحر الأسود شمالًا

(١) تعادل في اصطلاحنا اليوم: ملازمًا ثانيًا، ومعناها الحرفي: ضابط صغير.

(٢) دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٥). والأبيات من قصيدة «بعد الفراق» الواردة في الصفحة (٢٠) من الديوان المطبوع مع اختلاف في عجز البيت الأول ونقص آخر.

(٣) ديوان «التقيّ» ص(٨٥)، الطبعة الأولى عام (١٩٣٢م)، مطبعة ابن زيدون دمشق.

إلى حدود فارس جنوبًا، وما إليها من الولايات التركية ومنها: «كردستان» التي أقام الناظم فيها في أيام الحرب العامة زمنًا وهو ضابط في الجيش التركي الثاني المكلّف بردّ غارات الجيش الروسيّ، فكانت بين الجيشين مصادمات ليست بذات شأن؛ وإنّما لقي الجيش التركي الألاقي بمصارعة الجوع والبرد والحمّى التيفوس، وهذه الآفات الثلاث كادت تبتلع الجيش برمّته، حتّى اقتات بعض الجنود والضباط - والناظم منهم - عشب الأرض ثلاثة شهور، وبعضهم اقتات بالجيف ولحوم الموتى وعظامهم»[1].

يقول فيها:

وكَـمْ جِيفـةٍ وحـشُ الفـلاة يعافُهـا تَنـازع فيهـا جُـوّعٌ، وتنافسـوا[2]

ونجد في ديوان «التقيّ» قصائد متعدّدة تصف معاناته في تلك البلاد وما قاساه في السجن في مقطوعة «بين سجينين» في الصفحة (١٧٩) من الديوان، وكذلك ما عاناه من الضباط الغلاظ في الجيش العثماني كما في قصيدة «الضابط الأسود» في الصفحة (٢٢٢) من الديوان.

أمّا في مجال النثر، فإن «للتقيّ» مقالًا نشره في مجلّة «العرفان» في عددها لشهر رمضان من العام ١٣٥٤هـ الموافق لشهر كانون الأول للعام ١٩٣٥م تحت عنوان: من خواطر الحرب... ثلاثة مشاهد عاطفية!» بيّن فيها مدى تأثّره بالحرب رغم مرور ما يقرب من عشرين عامًا على أحداثها.

---

(١) ديوان «التقيّ» ص(١٣٨)، الطبعة الأولى عام (١٩٣٢م)، مطبعة ابن زيدون دمشق.

(٢) ديوان «التقيّ» ص(١٣٨)، الطبعة الأولى عام (١٩٣٢م)، مطبعة ابن زيدون دمشق. وفي دراسة الأستاذ هندية أبيات تختلف عن المطبوعة في الديوان المذكور.

يقول في أول مقاله: «عشْتُ في هذه الحياة دهرًا لا أبكي... وقد تمرّ بي الحادثات وهي أجرح ما تكون لقلبي، وأنزف ما تكون لدمعي فأزورّ عنها ازورار الأبيّ عن المرتع الوَبِيّ، وأنفخُ في كبدي لها حتى تغلظ فما أبالي بعد ذلك بعواصفها مهما اشتدّت وقست! وقد علّمني القائمون على شؤوني في صغري وبعد أن يفعْتُ التصبرّ، وخلقوا فيّ خلُق التحمّل والتجلُّد، فما تجد المصيبة أو الكارثة مسربًا إلى نفسي فتجزع، أو سبيلًا إلى عيني فتدمع...

غير أنّ مشاهد ثلاثة مرّت بي في أيّام الحرب الكبرى المنصرمة لم تقْوَ فيها على الاعتصام بصلابة عودها، ولا عيني على الاسترسال في جمودها، وهذه المشاهد ما تزال كلّما مرّت على الخاطر تثير بي الذكرى الممضّة، وتنبط دمعتي من محجرها، وتهزّ قلبي في شغافه، وكم في الحياة من صور وألواح تتخاذل أمامها قوى التجلّد، وتهين وتضعف عندها قدرة التحمّل...!»[1].

ثمّ يذكر هذه المواقف الثلاثة: الأول في «محطة قطارات البرامكة» التي غصّت بالمودّعات والمودّعين يحفّون بالجنود المغادرين في مشهد يفطِّر القلب، والثاني في محطّة «أسكيشهر» في الأناضول، وما حصل من والدة وأخت الشهيد عثمان مع الجنود و«التقيّ» منهم، والثالث ما حصل بين «التقيّ» وصديقه «الضابط جلال» الذي كان يحتضر بين يديه جراء إصابته في «القفقاس» وما أوصاه به في حقّ أخته التي ستصير بعد موته وحيدة لا أحد لها. وإنّه لمقال يقطر بالحزن، ويفيض بالتأثّر وكأنها حصلت للشاعر

(١) مجلة العرفان، عدد ك١ ١٩٣٥م، ص(٤٩٥)، لبنان، صيدا.

في التوّ واللحظة.

هربه وتخفيه

«وتختمر في رأس «التقيّ» فكرة كان قد غرسها فيه أستاذه «السيد محسن الأمين» فكرة بغض الأتراك، فيصمَّم على الهرب من صفّ الترك، فيزوِّر وثيقة تثبت أنّه «مأمور حطب»، ويستطيع بهذه الحيلة أن يصل إلى «حلب» ويتخفّى فيها مدّة، ثمَّ يواصل سيره إلى «بعلبك» ومنها إلى «دمشق»[1].

وظلّ في دمشق متخفّيًا عن أنظار «أبي لبادة»[2] ثمانية أشهر، اشتغل خلالها كاتبًا في بعض المحلات التجارية بأجر زهيد ليوفّر الليرة الذهبيّة التي يدفع بها إلى المختار حتى يغضّ الطرف عن هربه من ساحة القتال[1].

وليس في الديوان المطبوع ما يدلّ على القصائد التي نظمها في تلك الفترة، إلا أنّنا نجد قصيدة واحدة بعنوان «أنا في سجن» يُظهر فيها تضايقه من تخفّيه الذي سمّاه سجنًا حتى كاد يقطع الأمل من فكاكه. يقول فيها:

لســـتُ أدري أيّ يـــومٍ فيـــه تنفـــكّ قيـــودي
طـــال في الســـجن عـــذابي وذوت أوراق عـــودي[3]

(١) من حديث مع ولده حازم.

(٢) أبو لبادة: اصطلاح عامي يطلق على شرطة الأتراك العسكرية المكلّفة بملاحقة الفارّين من الخدمة.

(٣) ديوان «التقيّ» ص(٥٤). الطبعة الأولى عام (١٩٣٢م)، مطبعة ابن زيدون، دمشق.

رابعًا: «التقيُّ»... معلمًا

«يمكننا أن نقسم حياة «التقيّ» في ميدان التعليم إلى ثلاث مراحل، حيث اختلفت في كل مرحلة نفسيته، وذلك تبعًا للظروف المحيطة به. وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى

وهي مرحلة صغيرة دامت مدّة سنة واحدة فقط سبقت التحاقة بالجندية، فما كاد «التقيّ» يتمّ تحصيله العلميّ في المدرسة السلطانية حتى «عُهد إليه وظيفة التعليم والتدريس في المدرسة السلطانية ذاتها التي نشأ فيها، مضافًا إليها وظيفة النظر في الشؤون الإدارية بما يسمى في اصطلاح المدارس السلطانية «معيدًا» فاستمرّ في هذا المكتب حتَّى دعي إلى الجندية بعد سنة»[1].

ويذكر المرحوم «التقيّ» أنه «اندفع في مهنة التعليم اندفاعًا غريبًا، فقد كانت غايته أن يخلص في عمله ليدوم له عمله، ويبقى عليه راتبه، أو لعلّه ذلك الاندفاع الذي يحسّ به كلّ من عانى التعليم أوّل مرّة؛ فأفاد الناشئة إفادات لا تنكر يعلمها كلّ من يحضر دروسه ومناقشاته مع تلامذة ذلك المكتب»[2].

على أنّ هذه المرحلة تظهر فيها غيمةٌ تعكّر صفاءها، ذلك أنّه ورد في سجلّ خدماته مايلي: «ذكر في ترجمته بأنه استُخدِم معلمًا ومعيدًا في المدرسة السلطانية الأولى، ولكن لم يؤيد ما ادَّعى بورقةٍ رسميّةٍ، وتبيّن من الوثيقة المربوطة بأوراقه أنّه استُخدم

---

(١) من حديث مع ابنه حازم، وكذلك ورد فحواه في دراسة الأستاذ هندية، جامعة دمشق.

(٢) نقلها الأستاذ محمد هندية عن مخطوط عنوانه «أبو تراب» ظهر الورقة الأولى. وهذا المخطوط مفقود.

«ملازمًا ثانيًا» في الجيش العثماني»[1].

إلَّا أنّ ما ورد في سجلّ خدماته لا يمنع أن يكون قد علّم فعلًا في المدرسة السلطانية لتواتر الخبر من وجوه عديدة.

المرحلة الثانية

وتبدأ هذه المرحلة بعد عودته إلى بلده وقد وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها؛ في اليوم التاسع عشر من شهر تشرين الثاني للعام ١٩١٨، والتي ترافقت مع وثبة العرب القومية، فيندفع في عمله بروح الثائر وعزيمة المناضل، ويعدّ نفسه ليكون شاعر النهضة العربية، فيُلقي بصوتٍ جَهوريّ قصائده في المحافل والمجتمعات مشيدًا بالثوار العرب من أرض الجزيرة العربية[2].

وإذا عُدْنا إلى الديوان المطبوع نجد قصائده متعدّدة تخصّ الثورة العربية ورجالاتها، فكأنّ «التقيّ»؛ إذ طار فرحًا بها كادت تلوح لعينيه بيارق النصر وأعلام الفوز، فها هو يخمّس قصيدة الشاعر الشيخ فؤاد الخطيب فيها متناولًا خمسة وثلاثين بيتًا. يقول فيها «التقيّ»:

لِـمَنِ الرِّكابُ حدا بهنّ الحادي حُفّتْ بِبِيضِ ظبًى وسُمْر صعادِ
لِـمَنِ البنود خفقْنَ في الأنجاد (لِمَنِ المضارب في ظلال الوادي

(١) من حديث مع ابنه حازم. ويؤيد ذلك ما ورد في دراسة الأستاذ هندية ص(٦-٧).

(٢) دراسة الأستاذ هندية ص(٧).

ريّانــة الجنبــات بــالورّاد)[1]

أما في دمشق، فقد قَدِم «الملك فيصل» وزار المدرسة العلوية[2] فيها عام (١٣٣٧هـ)، وأقيم له احتفال، فانبرى «التقيّ» يحييه بقصيدة عنوانها «تحية الفتح» مطلعها:

لـكَ الخَـذِمُ الصَّمْصَـامُ إمّـا تجـرّدا تخرّ له الهاماتُ في الحربِ سُجّدا[3]

وعندما توفّي «الملك حسين بن علي» رثاه التقيّ بقصيدة عنوانها «الرزء الجليل»[4].

---

(١) ديوان «التقيّ» ص(٩١). وقد وصف «التقيّ» الراية العربية بأربعة أبيات تظهر فرحه:

جـاؤوا بحبّـات القلـوب فوشّـعوا لـكِ مـن سـواد القلـب فضـل لثـامِ

وزهـوْتِ مِـنْ وشيِ الربيـع بأخضرٍ وبــأبيضٍ كــالزهر في الأكــمامِ

وصُــبِغْتِ مـنْ لـون الـدماءِ بعنـدمٍ هــو طيــبُ كــلِّ مجاهــدٍ ومحــامي

بــكِ حُقِّقــتْ آمــال كــلِّ مؤمِّــلٍ وإليــكِ يهــوي قلــب كــلِّ هُمــامِ

الديوان ص(١٤٤).

(٢) المدرسة العلوية: هي المدرسة التي أنشأها «العلامة السيد محسن الأمين» في حي الأمين لتعليم الطلاب الفقراء والأيتام في أوائل القرن العشرين، وقد درّس فيها الشاعر «التقيّ» وعمل مديرًا لها. وكانت أول الأمر مدرسة صغيرة في محلة الشرفاء، ثم نقلت إلى بنائها القائم حتى اليوم، وقد سمّيت الثانوية المحسنيّة نسبة لمنشئها واعترافًا بفضله.

(٣) ديوان «التقيّ» ص(١٥٥). مطبعة ابن زيدون، دمشق، الطبعة الأولى (١٩٣٢م). خَذِمَ السيفُ فهو خَذِمٌ: كان ماضيًا حديدًا. والصمصام: السيفُ الصارمُ لا يَنْثَنِي.

(٤) قدّم التقي لقصيدته: «الرزء الجليل في شيخ قريش وسيد البطحاء... صاحب الجلالة الهاشمية المغفور له حسين بن علي لحق بربّه في عمّان في أوائل العام (١٣٥٠هـ)... ودفن باحتفال فخم عظيم في المسجد الأقصى». ديوان «التقيّ» ص(٢٠٠).

مطلعها:

بكـــتْ نـــزار وفي أحشـــائها ضَرَمُ وحقّها أن تصوبَ الدمعَ وهو دمُ[1]

ولكنّ النهضة العربية انتهت إلى غير الوجهة التي أراد لها مُنظّروها، فالمكيدة الدولية التي كانت تدبّر لم تنته على الأمّة العربية بخير، إذ ران عليها استعمار جديد، فقام «التقيّ» يكافح مع المكافحين مناضلًا بلسانه وقلمه، وقد أجبره هذا الكفاح على الهجرة إلى «الأردن» تاركًا عمله بالتدريس في دمشق. وفي الأردن ساعده صديقه «الأستاذ سعيد البحرة»[2] ليعمل في إحدى مدارس «السّلط» الأهلية حيث أمضى في مهجره هذا ثلاث سنوات، ثم عاد إلى دمشق عام «١٩٢٧م»[3].

ولا نجد في الديوان المطبوع ما يوثّق لهذه المرحلة إلا قصيدة واحدة عنوانها: «من البلقاء إلى الفيحاء، أنا والنسمات»، وهي عبارة عن تسعة مقاطع أو مشاهد كل منها يقع في خمسة أبيات: أربعة منها بقافية موحدة، والأخير متوافق مع قافية مشتركة بين المقاطع، ويفصل بين هذه المشاهد بيتان يتكرّران عشر مرات، فإذا بالقصيدة كالنشيد؛ ولكنه نشيد حزين يصدر عن قلب مفعم بالحزن والأسى، وعين غاض دمعها أو كاد.

فأما البيتان اللذان يفصلان بين المقاطع، فهما:

نســـمات الشـــام وغوطتهـــا هُبِّـــي، فالوَجـــد بنـــا بَـــرّحْ

---

(١) الضَّرَم: الضِّرَام؛ وهو لهب النار. وصابَ الماءَ ونحوَه يَصُوبُهُ: أراقَهُ.

(٢) سيأتي الحديث عنه عند الحديث عن ديوان «التقيّ».

(٣) من حديث مع ابنه حازم، وكذلك أيَّدَه الأستاذ هندية في دراسته ص(٧).

سكن اللَّيلُ الدَّاجي، وسكنـ ـتِ، وثائر همّي لم يَبْرِحْ[1]

المرحلة الثالثة

وتبدأ بعودته من «الأردن»، وتستمرّ إلى سنة وفاته عام (١٩٤٥م)، ونجد الشاعر فيها ينكمش على نفسه بعد أن اضمحلّت أكثر أمانيه، ثمّ يسعى إلى الحصول على مركز علمي مرموق يرضي به طموحه في مجال التعليم وتربية النشء، فينتسب إلى الجامعة السورية وينال شهادة الحقوق عام (١٩٣٠م)، ثمّ ينصرف إلى التأليف المدرسي في مختلف المجالات؛ بل لعلّ من الطريف أن نجده يضع الكتب الدراسية في مواد أدبيّة كالتاريخ والجغرافية إضافة إلى ألوان اللغة العربية من نثر وشعر ورواية وترجمة، ثم نجده يكتب في الحساب النظري والجبر والمثلثات والميكانيك والفيزياء[2] من خلال موقعه في مديرية المعارف ولجنة التأليف والترجمة. ثم وبعد مضيّ ما يقرب من عشر سنوات على نيله الإجازة في الحقوق يسعى للحصول على شهادة «الدكتوراه» من مصر، ثم يُنتخب في سنتيه الأخيرتين عضوًا عاملًا في المجمع العلمي العربي بدمشق إضافة إلى إعداد المحاضرات المختلفة وكتابة المقالات كما سيأتي بيانه[3].

(١) ديوان «التقيّ» ص(٣١) الطبعة الأولى، مطبعة ابن زيدون، دمشق، عام (١٩٣٢م).

(٢) انظر صورة غلاف ديوانه في ملاحق الكتاب، وفيه عناوين مؤلفاته المطبوعة وغير المطبوعة.

(٣) من حديث مع ابن صديقه د. أحمد الحكيم، ودارسة الأستاذ هندية ص(٧).

خامسًا: أصدقاء «التقي» وطلابه

أ. أصدقاء «التقي»

رغم حياة «التقي» القصيرة نسبيًّا، وامتلائها بالأحداث العظيمة والظروف الضاغطة من حربٍ وسفرٍ وبُعدٍ وهروبٍ وظلمٍ ومرضٍ وألم... إلا أنه كان له العديد من الأصدقاء بحكم عمله في التدريس، ثم بحكم عمله الإداري في مديرية المعارف نائبًا للمدير وعضوًا في لجنة التأليف ولجنة الترجمة. هذا إضافة إلى موهبته الأدبية التي تنفتح على أشخاص كبار من أدباء وشعراء وفقهاء وغيرهم.

وقد ذكر لنا ابنه «حازم»[1] أن «التقيَّ» عَرَفَ من طبقة الأدباء: السيدة إلفة الإدلبي وفارس الخوري ووجيه بيضون، ومن الشعراء: عمر أبو ريشة والدكتور أسعد الحكيم وأحمد الصافي النجفي والسيد حسن الأمين، ومن الفقهاء: الشيخ مصطفى الغلاييني ومحمد بهجة البيطار، وغيرهم كثير. وكل هؤلاء صاروا في ذمّة الله أحسن الله إليهم ورحمهم.

وخلال بحثي في كتب «التقيّ» المهداة إلى المكتبة المحسنية وجدتُ كتبًا أُهديت إليه من كثير من هؤلاء؛ سأورد صورًا منها في الملحق.

ومن أصدقائه المقرّبين الشاعر السيد **أحمد صندوق**[2] الذي تسلّم إدارة «المدرسة

---

(١) من حديث جرى مع السيد «حازم التقي».

(٢) من طلاب السيد محسن الأمين، من مواليد دمشق، عمل في التعليم وبرع في تعليم اللغة العربية، وله ديوان شعر لم يطبع. وقصائده منشورة في مجلة التمدن الإسلامي وغيرها، وله مقالات في مجلة العرفان. تسلم السيد أحمد إدارة المدرسة المحسنية بعد وفاة أديب التقي، وتوفّي في ١٩٥٦م.

المحسنية» من مديرها السابق «أديب التقي البغدادي» بعد وفاته، وقد كانت تجمعهما صداقة قوية، حيث أرّخ السيد أحمد لأحداث مهمة في حياة صديقه التقي وحفظها.

وبالعودة إلى ديوانه المخطوط والمحفوظ عند ابنه الدكتور بسام نجد ما يلي:

أ- قصيدة تاريخها غرة شهر رمضان للعام (١٣٤٥هـ) التي قدّم لها بالقول: «وقلت راثيًا المرحوم «محمد سعيد التقيّ» ومعزّيًا عنه ولده الأديب[١]:

ما سؤال المحبِّ غير مجيبِ ... مِنْ طلولٍ عفتْهُ ريح الجنوبِ
خافياتٍ مِنْهُ المعالمَ إلَّا ... أثرًا باليًا بأيدي الخطوبِ

ثم يخاطبه فيها بالقول:

أيّها الشهم أنتَ خيرُ صديقٍ ... صادقٍ في حضورِهِ والمغيبِ
لك في غامضِ المشاكلِ رأيٌ ... كدْتَ فيه تجتاز حجب الغيوبِ
لا أعزّيك قائلًا لكَ: صبرًا ... ليس يؤتى «ابن مريمٍ» بطبيبِ
غيرَ أنّي أقول: روّاك يا رو ... ضَ التقى فيض عارضٍ مصبوبِ

ب- قصيدة نُظِمت بمناسبة حفل «تكريم للحجاج من أبناء الحي، وعلى رأسهم الأستاذ أديب التقي رئيس بعثة الحج»[٢]. وقد صاغها السيد أحمد نشيدًا، أنشده الطلاب أثناء الحفل الذي أقيم في العاشر من شهر صفر للعام ١٣٦٣هـ. يتألف هذا النشيد من خمسة مقاطع يفصل بينها بيتان (لازمة)،

(١) ديوان السيد أحمد صندوق المخطوط ص(١٣، ١٤).

(٢) هكذا قدَّم للقصيدة، ووَضَعَ التاريخ.

منها:

يا ضيوفَ البيتِ حُيّيتمْ وفـزتمْ مِـنْ ضـيوفْ
يـومَ أحْـرمْتمْ ولبّيـتمْ بِسَـعْيٍ ووقـوفْ
كـلُّ نـزّاعٍ إلى الـبرّ عَـنِ الـدّنيا صَـدوفْ
بمنـى نِلْـتمْ منـاكمْ وبجمـعٍ والمقـامْ[1]

ج- رسالة كتبها إلى «التقيّ» معزّيًا بوالدته رحمها الله وليس فيها تاريخ.

د- قصيدة «آخر المطاف» ألقيت على قبر شاعرنا التقيّ في الساعة الثالثة من عصر يوم الأربعاء الرابع من نيسان للعام (١٩٤٥م)، كما ذكر السيد أحمد في الصفحة (٢٣٠) من ديوانه المخطوط، حيث قدم للقصيدة بمقدّمة ليست بالقصيرة، ثم تنساب أبيات الخمسة والعشرين حزينة عبرى.

ب. طلاب «التقي»

أمّا طلّاب «التقيّ»، فإن الكثير منهم قد انتقل إلى رحمة الله تعالى، والذي بقي لنا ذكرى منهم «المرحوم الشيخ **عباس شرف**» الذي كان تلميذًا في المدرسة التي كان يدرِّس فيها أستاذُه «التقيّ»، وقد كان هذا التلميذ خطيبًا جريئًا يقرأ الشعر بطريقة خطابية أعجبت أستاذه، فأتى به وهو ما زال في الصف الأول الابتدائي، وجعله يقف على حافة بحرة الماء في المدرسة أمام طلابها وأسمعهم خطابته وصوته الجهوري، وأثنى

(١) ديوان السيد أحمد صندوق المخطوط ص(٢٠٦).

عليه وأهداه بطاقة كتبها بخط يده تشجيعًا له[1]. وعندما كبر الشيخ عباس تأثر بأستاذه «التقيّ» وقدّر معروفه وصار خطيبًا وشاعرًا، وله ديوان مطبوع.

ولشدّة تأثر التلميذ بالأستاذ فقد عارض قصيدته المنشورة في الديوان تحت عنوان «زفرة» وذلك في الصفحة (٦٨)، مطلعها:

قــومٌ مــزاجُهُمُ الإســاءةُ وهـي ليسـتْ مِـنْ مِزاجِـي

يقول الشيخ عباس شرف معارضًا:

مِــنْ بعـدِ مـا ذقـتُ الأمـرّ وكــان شُرْبي مِــنْ أُجــاجِ
وطعمــت أنــواع البقــول وغـيري يغـذو مـنْ دجـاجِ
قدْ أوصـدتْ فـرقُ الضـلالِ عــليّ بابًــا ذا رِتــاجِ
قــدْ وجّهــوا كــلّ الأذى فكــأنّي ملقــى في ســياجِ
قــدْ سـدّدوا زرق النّصـولِ عــلى البــواني في ثبــاجي[2]
وَمَضــتْ حيــاتي كلّهــا رَهْــنَ التنــاحر واللّجــاجِ
أنــا حــائرٌ، أنــا ضــائعٌ أنــا تائـهٌ مِـنْ ذي سـذاجِ

(١) الشيخ عباس قاسم شرف، من مواليد دمشق ١٩١٢-١٩٩٣م، كان من تلاميذ السيد محسن الأمين العاملي. عمل منذ نعومة أظفاره في مقالع الأحجار، وعانى من شظف العيش، ثم عمل بالحياكة. طلب إليه أستاذه وشيخه السيد محسن الأمين أن يخطب ويرثي أهل البيت (ع). وكان من أهل الصلاح والتقوى ومن رجال الجمعيات الخيرية. عُرِف بالخطابة والشعر، وله ديوان طبعه بعد وفاته الدكتور لبيب بيضون. وقد حصلنا على هذه المعلومات من مقابلة أُجريت مع ابنه عبد الناصر.

(٢) الثباج: ما بين الكاهل والظهر.

مــنْ كــان يبعــدُ عــنهُمُ لا شكّ يسعدُ فهو ناجي
هــلْ مِــنْ مغيــثٍ أوْ مجــيرٍ أوْ دليـــلٍ في الـــدّياجي
إنّي لكهْـــفِ محمّـــد ﷺ أنـا هـاربٌ مـنهم ولاجـي
مــا لي ســوى ربي أنــادي دائـــمًا، ولـــه أنـــاجي
يــا خــالقَ الخلــقِ العظــيم وربّنـــا، والبحـــر ســـاجِ
قــدْ ضــاقَ وسْــعي سَــيّدي هــلْ مِــنْ ســبيلٍ لِانْفــراجِ
قــدْ خَصَّـــني ربُّ السّـــما فــالراسُ معصــوبٌ بتــاجِ
دربي طويـــــلٌ قـــــاتِمٌ والدّربُ صَعْبٌ بالعجاجِ[1]

(١) ديوان الشيخ عباس شرف المسمّى (نفحات ونفثات)، ص(٣٠)، الطبعة الأولى.

سادسًا: «التقيُّ» بأقلام أصدقائه ومحبيه

أ. الأستاذ الدكتور حسني سبح

نورد فيما يلي كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبح (رئيس الجامعة السورية) التي ألقاها في الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي في ١٣ أيار سنة ١٩٤٦ بمناسبة استقباله عضوًا عاملًا جديدًا في المجمع. وقد تحدث الدكتور سبح في هذه الكلمة عن سَلَفِهِ الأستاذ أديب التقي، فقال:

سادتي الأفاضل:

أرى لزامًا علي أن افتتح كلمتي بحمد الله على ما أولاني من نعم، ثم أن أُتبعها شكر حضراتكم على تفضلكم علي وانتخابكم إياي عضوًا عاملًا في مجمعكم الموقر، وفقني الله لأن أكون عند حسن ظنكم.

وبعدُ، فإن من تقاليد المجمع أن يُلقي العضو العامل الجديد في جلسة استقباله كلمة يترجم بها لسلفه، ويسردُ ما قام به من عمل وما أبقاه من أثر. وسلفي – رحمه الله – كان ممن تربطني به صلة الصداقة، ومعرفتي به وإن لم تكن قديمة العهد راسخة، فقد أتيح لي أن رافقته في رحلة مهرجان المعري وقضيت بصحبته الساعات الطوال. والسفر كما قيل يسفر عن أخلاق الرجال، فسبرتُ غورَ نفسه واطَّلعتُ على ما تحلَّى به رحمه الله من سجايا طيبة وأخلاق رضية ونفس أبية، في جانب تفكير صحيح وثقافة عالية، وأدب جم وشعرٍ رقيق، ناهيك عن وطنية صحيحة وحمية لاهبة.

وقد ولد المرحوم الأستاذ أديب التقي سنة ١٣١٣ هـ في دمشق من أبوين صالحين،

وكان ولعًا في صغره بحفظ الجيد من شعر العرب وكلامهم مع آيات الذكر الحكيم، وأتم دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية في دمشق، وتخرج في علوم البلاغة والنقد الأدبي بالعلامة الجليل السيد محسن الأمين عضو مجمعكم الموقر، وما إن أكمل تحصيله حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى، فأُخذ ضابطًا احتياطيًّا وذهب إلى جبهة القفقاس، حتى إذا وضعت الحرب أوزارها عاد إلى بلده دمشق، فاشتغل في التعليم ودأب على تأليف الكتب المدرسية المفيدة، ولما احتل الفرنسيون دمشق كان مديرًا لمدرسة البحصة، وكان يذكي في نفوس تلاميذه روح العروبة ويبذر بذور الوطنية الحق، حتى إن صورة للجنرال غورو كانت معلقة في بهو إدارة المدرسة مزقها الطلاب في يوم ذكرى ميسلون فأثار ذلك حفيظة أولي الأمر عليه ونُحِّي عن العمل، فعين مديرًا للمدرسة العلوية الأهلية في دمشق، فأحسن إدارتها ونهض بها إلى مصاف المدارس الثانوية الراقية.

ولما اندلع لهيب الثورة السورية سنة ١٩٢٥ غادر دمشق إلى شرقي الأردن، حيث عُهد إليه في تدريس الأدب العربي في مدرسة الصلت الثانوية، ورجع إلى دمشق بعد خمود الثورة، وانتسب إلى معهد الحقوق العربي في الجامعة السورية ونال الإجازة وعين أستاذًا للأدب العربي في تجهيز الإناث ثم محاضرًا في الأدب العربي في مدرسة الآداب العليا، وانتُخب سنة ١٩٤٢ عضوًا عاملًا في المجمع العلمي العربي، وبينما كان يعد العدة للذهاب إلى القاهرة ليقدم إلى جامعتها كتابه الذي وضعه في الشريف الرضي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، عاجلته المنية في نيسان ١٩٤٥، تغمده الله برحمته.

وقد كان رحمه الله أديبًا وشاعرًا تقيًّا، فصيح اللسان، واسع الاطلاع في علوم اللغة والتاريخ، عذب الحديث محافظًا على المبادئ والأخلاق الإسلامية والقومية الصحيحة، أبي النفس ينتصر للحق، وفيًّا لأصدقائه فعالًا للخير.

وانكب على الكتابة والتأليف وقرض الشعر، فأهدى إلى المكتبة العربية بعض الكتب القيمة، أذكر مما طُبع منها: التاريخ العام وهو في جزأين، وسير التاريخ الإسلامي، ومناهج التربية والتعليم، وسير العظماء، ونهضة اليابان السياسية والاجتماعية، ومصطفى كمال باشا في الأناضول، وغرائب العادات، والمسيح الهندي. وساهم مع زملائه الأساتيذ الجندي والقواس والسراج بوضع كتاب الطرف في ستة أجزاء، ونشر عدة مقالات في المجلات العربية المختلفة.

أما ما لم يطبع من مؤلفاته، فمنها تاريخ العصر الحاضر، وتاريخ العهد النبوي والخلفاء الراشدين، والإمام علي بن أبي طالب، وبسمارك بطل الاتحاد الألماني، والجغرافية الاقتصادية، وتاريخ الختان ومحسناته، والجزء الثاني من سير العظماء، ومئتا مسألة في الحساب النظري والجبر والمثلثات والميكانيك والفيزيك، ومجموعة مقالاته الاجتماعية والأدبية والتاريخية، وشعر الخيام وفلسفته، ورواية الوجيه المتحضر، ثم مؤلفه في الشريف الرضي، ويُعدُّ – على ما قيل – من أفضل ما كُتب عنه.

ونظم رحمه الله الشعر حتى اجتمع من شعره ديوان طبعه سنة ١٣٥٠هـ، فضلًا عن القصائد العديدة التي نظمها في جملة مناسبات، وكلها تذكي لهيب الوطنية وتدعو إلى النهوض واليقظة. وبوَّب ديوانه المذكور تبويبًا ينم على ما يخالج نفسه من مشاعر في

شتى النواحي. فاستهل «نبضات قلب» بوداع دمشق نظمها عندما غادر دمشق إلى استانبول للانضمام إلى الجيش في الحرب العالمية الأولى، ومطلعها:

شذاك أم المسك الفتيت يضوعُ ... لـه بيننـا أنـى نحـلُّ سـطوعُ

ومن شعره الرقيق في «سانحة وجد»:

لـئن بعـدت منـازلكم فقلبـي ... لكـم مـن دونهـا كنـف ودارُ

وإن ضن السحاب فدمع عيني ... لكـم مـن دون عارضـه قطـارُ

عتبت على الزمان وليت شعري ... أيرجـى منـك يـا دهـر اعتـذارُ

هـي الأقـدار تمضي ـ في البرايـا ... فلـيس يقيـك مـن قـدر حـذارُ

وقال رحمه الله:

يجـري بنـا الـدهر إلى غايـةٍ ... سـيَّانُ داني الخطـو أو شاسـعُهْ

إن لم يـزن حسـن الفتـى خلقـه ... فـما جمـال خلقـه نافعُـهْ

والمسـك مـا نـم عليـه الشـذا ... لا مـا غـلا في مدحـه بائعُـهْ

وقال في «زفرة»:

الزيت أوشـك أن يجـف ... وينطفـي نـور السرـاجِ

إني سأمضي ـ غـيرَ معـ ... ـروف الدخيلة والعلاجِ

وأظـل في هـذا الـورى ... أحجيـة بـين الأحـاجي

وأبدع في وصف شيخٍ تصابى وضل وفجر إذ قال:

جاز الشباب إلى شيخوخة ورثـت ... عـن الشـباب بقايـا الإثـم والعـارِ

ما زال منذ الصبا باللهو منغمسًا لم ينهه الشيب في وعظ وأذكارِ

في حالتيه تراه غير مكترث بغير كأس وطنبورٍ ومزمارِ

تراه طورًا لدى ماخور مومسة وتارة هو في حانوت خمارِ

إلى أن قال:

يا ويحه كثرت آثامه فمتى تنأى به الدار أو ينأى عن الدارِ

ورثى صديقه المرحوم أحمد شاكر الكرمي بمرثية طويلة قال فيها:

بردى بكى وبكت ضفافه قل للحمام فما هتافهْ

الموج عبَّر عن أساه وصوته هذا التهافه

والآس في روضاته مستعبر وكذا خلافه

إلى أن قال:

أمهددًا بالموت إن الموت أمر لا نخافهْ

درجت عليه كهولنا والنشء تيمه ارتشافه

لا نرتضي ـ عيش الهوان فإن أنفسنا تعافه

عيش يعز قويه وتئن رازحة ضعافه

العدل أظلم أفقه والظلم لا يخشى اقترافه

والأرض مجزرة القوي ضعافه فيها خرافه

والشمل منصدع فهل يرجى مع الخلف ائتلافه

رحمه الله رحمة واسعة وأمد الله في أعماركم زملائي الأكارم وأدامكم للعلم

والفضيلة وللعرب والعربية ذخرًا والسلام[1].

ب. الأستاذ حكمت هلال

نورد فيما يلي مقال الأستاذ حكمت هلال الذي نشره في مجلة المعلم العربي، وهو بعنوان:

المجمعي الشاعر

أديب التقي البغدادي

١٨٩٥ - ١٩٤٥م

بقلم: حكمت هلال[2]

هو أديب بن محمد التقي البغدادي، مولده ووفاته في دمشق، وُلد من أبوين صالحين، وكان مولعًا منذ صغره بالمطالعة، ويحفظ الجيد من شعر العرب وكلامهم. أتم دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية بدمشق، وتتلمذ على يد الشيخ محسن الأمين والشيخ صالح مرتضى. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى سُحب ضابط احتياط إلى جبهة القفقاس عام ١٩١٦م، حتى إذا انتهت الحرب عاد إلى دمشق، واشتغل في سلك التعليم، ودأب على تأليف الكتب المدرسية المفيدة، وكان مديرًا لمدرسة (البحصة). وكان وطنيًّا يبث روح العروبة وبذور الوطنية في نفوس طلابه، ويدعو إلى النهوض

(١) عن مجلة المجمع العلمي العربي المجلد٢١، الجزء الأول والثاني، ص٣٦٩-٣٧٢.

(٢) مجلة المعلم العربي، السنة الخامسة والستون، خريف، شتاء ٢٠١١ - ربيع ٢٠١٢، الأعداد ٤٤٢-٤٤٣-٤٤٤، ص (٢٤٨-٢٥١).

واليقظة والتحرر، وكان في إدارة المدرسة صورة كبيرة للجنرال (غورو) فمزقها التلاميذ في ذكرى ميسلون، فنُحِّي أديب التقي عن المدرسة، واعتُبر هو المحرض على تمزيق هذه الصورة.

ومن ثم عين مديرًا للمدرسة العلوية الأهلية بدمشق. وفي عام ١٩٢٥م، حين اندلع لهيب الثورة السورية، غادر دمشق متجهًا إلى شرقي الأردن، حيث عيِّن أستاذًا للغة العربية والأدب العربي في مدرسة الصلت الثانوية، ثم عاد إلى دمشق وانتسب إلى معهد الحقوق العربي في الجامعة السورية، ونال منها شهادة المعهد، وعيِّن أستاذًا للغة العربية في تجهيز البنات، ثم محاضرًا للأدب في مدرسة الآداب العليا. وانتخب سنة ١٩٤٢م عضوًا عاملًا في المجمع العلمي العربي. وكتب كتابه (الشريف الرضي: عصره، حياته، أدبه) في غرة رجب سنة ١٣٦٣هـ الموافق ٢٠ حزيران سنة ١٩٤٤م، وهو أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في مصر، فوافته المنية قبل المناقشة في شهر نيسان سنة ١٩٤٥م.

كان – رحمه الله – يعاتب زمانه بهذه العبارات المؤثرة التي لها أكبر وقع في النفس: (أتلف شبابي لقوم لا يُقَدِّرون العمل، وأحرق راحتي وجهدي لوطن لا يكرم الجهد، وجرّ عليَّ الحرمان تضحيتي لقبيل لا يفهم التضحية. لقد تركت لنفسي الكثير الذي لا يبلى من زينة الفضيلة، ونقلت لعاطفتي وعقلي ما لا يفنى من حَلْي الأدب، فماذا عليّ بعد ذلك؟).

يُعدَّ أديب التقي من الرعيل الأول من أعلام سورية المعاصرين، وتعد دراساته

مصدرًا ثرًّا في البحوث التاريخية والأدبية، وكانت أفكاره وآراؤه النيرة مشعلًا يضيء الدرب للأجيال من بعده، وكانت أخلاقه أخلاق العلماء، وتواضعه تواضع الأدباء الكبار، وكان أديبًا وشاعرًا، فصيح اللسان، واسع الاطلاع، عذب الحديث، أبيّ النفس، وفيًّا لأصدقائه.

وقد ترك في نفوس عارفيه انطباعات صافية، وارتسامات نقية، وذوقًا رفيعًا، عُرف فيه سعة الأفق، وانفتاح الذهن، والخلق السامي؛ فهو ظاهرة فريدة في الثقافة العربية المعاصرة، ومؤرخ اجتماعي من الطراز الأول، فهو يعلِّل الأحداث التاريخية بمنهج ميسّر، وألفاظ معبِّرة.

ومن مزاياه العديدة دماثة خلقه وتواضعه، وهدوء في الطبع، ولا تكاد الابتسامة تغيض. وحين يتعلق الأمر بعيب من عيوب المجتمع، يثور على التقاليد البالية والنفاق الشائع فيه.

لقد واصل جهوده الثقافية في خدمة العلم والأدب، ونشر لواء المعرفة في أذهان تلاميذه وعارفيه، وكان زاهدًا في الدنيا، خرج منها كما دخل، أفنى عمره في الدفاع عن المثل العليا والأخلاق السامية؛ فهو من المفكرين الأحرار، جنود الحق، ودعاة الإصلاح والمدنية.

شعره

يقول الحكيم الأديب الدكتور أسعد الحكيم عضو المجمع العلمي العربي: (ومن خيرة الشعر الذي ظهر في عالم الأدب حديثًا ديوان التقي، وهو مجموع ما فاضت به قريحة الأديب الشاعر الأستاذ أديب التقي من العواطف النبيلة، والمعاني الرقيقة

المتنوعة، فمن (نبضات قلب) تتقاذفه (غوارب موج) فتوقع فيه (جروحًا وآلامًا) إلى مناظر (ألواح وصور) تأخذ بمجامعه فيلهو (بأماليحها) تحت (ظلال وأفياء) تصدح على غصونها طيور الغد (بأغاريد) الأمل.

فمن (نبضات قلب) يقول في وداع دمشق: [من الطويل]

أَجِلَّقُ هل للعيشِ فيكِ، ودُونَنا ... وهادُ النَّوى، عَوْدٌ بنا ورجوعُ

أَحِنُّ إلى عَيْشي لَدَيْكِ وإِنَّما ... يَحِنُّ إلى الأمِّ الرَّؤومِ رضيعُ

وفي (غوارب موج) يقول من وحي الروض: [من السريع]

يجري بنا الدهرُ إلى غايةٍ ... سيَّانَ داني الخطوِ أو شاسعُهْ

وفي (جروح وآلام) يقول واصفًا أخا الحزم: [من الطويل]

وما رجلُ الأيامِ غيرُ سَمَيْدعٍ ... كَمِيٍّ ربيط الجأشِ غير مُروَّعِ

له من شَباةِ العزمِ آمنُ مفزعٍ ... ومن سِيَةِ الإقدامِ أَوْثقُ مَنْزَعِ

وفي (ألواح وصور) يصف الهلال في كبد السماء فيقول: [من البسيط]

يا حبَّذا أفقٌ لاحَ الهلالُ به ... كأنّما هوَ طوقٌ لاحَ في عُنُقِ

يبكي، ويضحكُ هذا غيرَ مُكترثٍ ... فاعجبْ لِضِحْكِ هلالٍ في بُكا أُفُقِ

وفي (ظلال وأفياء) يمدح سمو الأمير فيصل شعرًا بمناسبة حفلة أقامتها لسموه المدرسة العلوية بدمشق بعنوان تحية الفتح: [من الطويل]

هيا فيصل الحقِّ المبينِ ومن به ... تعالى منار الدين بالعدل والهدى

بجدِّك قدمًا أنقذ اللهُ أمَّةً ... طغى البغيُ فيها واستطالتْ يدُ العدا

فجئـتُ عـلى آثـاره الغُـرِّ تَقْتَفـي وتُعلي لمجد العرب صرحًا مشَيَّدا

وفي (أماليح) يصف الشاعر كيف خرج رفاقه إلى متنزه عين الفيجة ومرج عين الخضرا، فضربوا سرداقًا كبيرًا بينهما في عيد سنة ١٣٤١ للهجرة لتقضية بضعة أيام هناك، فوصف الشاعر هذين المتنزهين بقصيدة رائعة، استغرقت ثمانية وأربعين بيتًا، وهي من عيون الوصف في ذلك العصر، وفيها يقول: [من الوافر]

لمن قُبَبٌ سَمَتْ فوق الشواهقْ على (الخضرا) لمن ذاك السُّرادِقْ
إذا جُزْتُم على (الخضراء) يومًا فَعُوجوا واجلسوا فيه دَقائِقْ
بباطنِهِ صُنوف الخير شتّى غَدَتْ مصفوفةً صَفَّ النَّمارِقْ
سُقِيتِ الغيثَ يا (خضرا) وروّى سُفوحكِ من حَياة كلُّ دافِقْ

وفي ديوانه (أغاريد) يصف روابي قاسيون ويشيد بدوره في حماية الغوطة الغناء. فيقول: [من مجزوء الرمل]

يا روابي قاسيون كل قلب فيكِ هاما
كلَّما زادَ بِعادًا زادهُ البعدُ هياما
أنت للغوطة حِرْزٌ صانكِ الله دَواما
ما سما صَخرُكِ إلّا لِيُحاذي النَّجمَ هَاما

وله قصيدة بعنوان (يوم الميدان) يذكر فيها مآسي الثورة السورية عام ١٩٢٥م فيقول: [من البسيط]

مرابعُ الشام أطلالٌ معطَّلةٌ وأَرْسُمٌ موحشاتٌ بعد إبهاجِ

والغوطتـانِ مثـار النَّقـع، روضُـهما ذاوٍ، وقـد كانتـا الفـردوسَ لِلَّاجـي
ذوت محاسـنُ أرض الشـامِ وانْطمَسَـتْ أنوارُهـا بعـدَ إشراقٍ وإبـلاجِ

وكثيرًا ما يأسى لمصاب وطنه وشقاء أهليه، فيذرف الدمع شعرًا على ما حل به وبقومه فيقول: [من المتدارك]

وَطَـنٌ أهلـوهُ بـهِ شَـقِيَتْ وبأهليـهِ هـو قـد شَـقِيَا
فكُـنِ اللهـم لأحـرارٍ فيـه يلْقَـوْنَ كـما لَقِيَـا
مـا بـين شريـدٍ في الآفـا قِ وبـين سـجينٍ في المنفـى
فـإذا سـكتُوا سِيموا ضَـيمًا وإذا نطقـوا لاقـوا حَتْفـا
وإذا شَرِبـوا شَرِبُـوا رنْقًـا وإذا طَعِمُـوا طَعِمُـوا خَسْفَا

وفي قصيدة له بعنوان (الشباب الذاوي) يرثي بها الأديب أحمد شاكر الكرمي صاحب جريدة الميزان في الحفلة التي أقيمت سنة ١٩٢٨م بعد مرور عام على وفاته يقول فيها: [من مجزوء الكامل]

بردى بكى وبكت ضفافه قُـلْ للحـمام فـما هتافـه
والغوطتـان وقاسـيون ومـا تظللـه شـعافه
قَصَفَت يدُ الحدثانِ غُصنا لم يَحِـنْ بعـدُ انقصـافُهْ
كـفُّ الـرَّدى قطفتْـهُ زهـرًا بعـدُ لم يحـن اقتطافُـه
لله شـاكرُ أيُّ صَـبٍّ منـك بالعليـا شُـعافُه
كـم من مقالٍ قد رَصَفْتَ فـراح يُصـيبُنا ارتصـافُه

الخلــدُ دونــكَ رفّ والــــ ــــفردوسُ دانيــةٌ قطافُــه

مؤلفاته

- التاريخ العام (الجزء الأول) مطبعة الترقي – دمشق ١٣٤١هـ.
- التاريخ العام (الجزء الثاني) مطبعة العرفان – صيدا ١٣٤٢هـ.
- سيرة التاريخ الإسلامي، مطبعة الترقي – دمشق ١٣٤٠هـ.
- منهاج التربية والتعليم.
- سير العظماء (الجزء الأول).
- سير العظماء (الجزء الثاني).
- نهضة اليابان.
- مصطفى كمال باشا في الأناضول.
- غرائب العادات.
- المسيح الهندي.
- ديوان التقي، مطبعة ابن زيدون ١٩٣٢م.
- الشريف الرضي، مطبعة كرم ١٩٦١م. (طُبع بعد وفاته)

كتبه غير المطبوعة

- تاريخ العصر الحاضر.
- تاريخ العهد النبوي والخلفاء الراشدين.
- الإمام علي بن أبي طالب.

- بسمارك بطل الاتحاد الألماني.
- الجغرافيا الاقتصادية.
- تاريخ الختان ومحسناته.
- مئتا مسألة في الحساب النظري.
- مجموعة مقالاته الاجتماعية والأدبية والتاريخية.
- شعر الخيام وفلسفته.
- رواية (الوجه المتحضر).

المراجع:

- راجع مجلة مجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٢١، الصفحة ٣٦٩.
- الشريف الرضي: عصره وحياته لأديب التقي. مطبعة كرم.
- ديوان أديب التقي، مطبعة ابن زيدون، عام ١٩٣٢م.
- مجلة العرفان: المجلد الحادي عشر، الجزء العاشر.

سابعًا: وطنية «التقيّ»

عاش «التقيّ» في فترة المخاض السياسيّ للمنطقة العربيّة، فالاستعمار العثماني كان يمرّ بمرحلة الهرم والشيخوخة والعجْز، بينما ظهرت على الساحة الدّولية قوى جديدة تحاول ترسيخ أقدام لها بين الأمم. أمّا على الساحة العربية، فقد بدأتْ شرارةُ الثورة العربية تظهر في المنطقة فتتناغم مع مشاعر العروبة؛ وتدغدغ أحلام أمّة القرآن والأمجاد. ثمّ تمرّ الثورة العربية بمرحلة المؤامرة والمصادرة وتدخل المنطقة في أتون التقسيم والاستعمار الأوربيّ.

لقد أثّر هذا الجوّ المأزوم بشاعرنا «التقيّ» أشدّ تأثير، حتى إنّه «قام بإلقاء بعض القصائد مادحًا أو راثيًا أو هاجيًا بعض السّاسة، كما قام بإلقاء بعض الخطب يستثير بها حميّة الطلاب في مدرسته للقيام بمظاهرة يستنكرون بها ما يرى - أستاذهم - من تعسّف المستعمر.

والواقع أن عصر النهضة الحديثة يمتاز بمشاركة أدبائه وشعرائه في مثل هذا الضرب من الحياة السياسية من غير أن يكون لهم فيها التأثير المباشر»[1].

وبمراجعة ما وصلنا من نتاج «التقيّ» يمكننا تلمّس هذه الوطنيّة في المواقف التالية:

مع الأتراك

لقد غرس أستاذ وصديق «التقيّ» السيد محسن الأمين «كره الأتراك والحقد

(١) دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٧).

عليهم، كما غرس إلى جانب ذلك حبّ العرب والتشبّث بهذا الحبّ... كرهٌ وحقدٌ دفعه إلى أن يهرب من ساحة القتال معرّضًا نفسه لكلّ سوء، وحبّ وتشبّث جرّا على شخصه الهجرة...»[1].

و«التقيّ» الذي خبر الأتراك وشارك في حربهم، وقاسى ما قاساه في ذلك؛ أوضح خطأ سياستهم في قصيدة «ذكريات القفقاس» التي سبقت الإشارة إليها، بقوله في آخرها:

سياسة تفريق بها ضاع مُلكهمْ وأودى بما جرّتْ مَسُوسٌ وسائسُ

وقد علّق على هذه الأبيات في الحاشية بقوله: «لمّ الشعث: إصلاح الفاسد. هذا البيت وما قبله وبعده إشارة إلى السياسة التي اتّخذها رجال الحكومة التركيّة العثمانية من تتريك العناصر التي تتألّف منها الدولة، فكانت شرًّا مستطيرًا عليهم وعلى البلاد حتّى تجزّأت»[2].

مع الفرنسيين

سبق لنا ذكْرُ فرحِ «التقيّ» بانتهاء حكم الأتراك مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وتأميله الخير بفترة الثورة السورية وامتداح رجالاتها.

وفي الديوان المطبوع، نجد مقطوعة صغيرة بعنوان: «احترموا بلادكم» نظمتْ

(١) دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٨).

(٢) ديوان التقي ص(١٤١)، والحاشية أسفلها.

غالبًا في العام (١٩٢٠م) وإن لم يذكر «التقيّ» مكان وزمان نظمها[١]، إلا أنها تتحدّث عن المؤامرة على بلاده يقول فيها:

بـلادٌ، دمـاءُ العـرب فيهـا مراقـة متى كان للأغراب حِلًّا حرامُها[٢]

«ويأتي اليوم الرابع والعشرون من شهر تموز (١٩٢٠م)، فيقع وزير الحربية يوسف العظمة شهيدًا في ثرى ميسلون، فيرثيه الشاعر «التقيّ» قائلًا:

كـمْ وَدِدْنا إذ ثَوَى لَوْ بالدموعْ وهـي حُمْـرٌ غَسَّـلُوهْ

وسَوَادِ القلبِ مِنْ فَرْطِ النُّزُوعْ لَـوْ بِـهِ قَـدْ حَنَّطُـوهْ

وعن الرَّمْسِ بِمَحْنِيّ الضُّلُوعْ لَيْـتَهُمْ قَـدْ دَفَنُـوهْ[٣]

و«تدخل في اليوم التالي القوّات الفرنسيّة، ويبدأ الانتداب، فيندّد صاحبنا بالحلفاء الذين خانوا عهودهم»[٤]:

أكـذا يَلْقَـى مَـنْ يَنْشُـدُكُمْ «يا أحرار الغربِ» النَّصَفَا

اللهَ لأوطـانٍ فُجِعَـتْ ولِشَـعْبٍ حُـرٍّ قَـدْ رُزِيَـا[٥]

«ولعلّه نظر نظرة الشابّ المثقّف، فوجد أنّ اللوم الحقيقيّ لا يقع على كاهل

(١) في دراسة الأستاذ محمد هندية، ص(١٥)، ذكر أنه اطلع على الديوان المخطوط، وذكر فهرسًا بقصائده مرتبًا حسب تاريخ النظم، وقد وردتْ هذه الأبيات تحت تاريخ العام (١٩٢٠م).

(٢) ديوان «التقيّ»، ص(١١٧)، مطبعة ابن زيدون، الطبعة الأولى ١٩٣٢م.

(٣) ديوان «التقيّ»، ص(١٦١)، مطبعة ابن زيدون، الطبعة الأولى ١٩٣٢م.

(٤) دراسة الأستاذ محمد هندية، ص(٩).

(٥) ديوان «التقيّ»، ص(١١٣)، الطبعة الأولى، مطبعة ابن زيدون بدمشق، عام (١٩٣٢م).

الشعب البسيط، ولا على كاهل الدّول الأجنبيّة التي يهمّها أن تتحيّن الفرص للانقضاض على الشعوب المستَضعفة في الأرض، وإنما اللوم كل اللوم على بعض قادة البلاد الخونة.

خانتْكَ جُـدُودٌ قـدْ عَثَـرَتْ يــا شَــعْبًا قَادَتْــهُ خَوَنَــهْ
حَتَّــامَ يُفَــرِّقُ بــين بَنِيــ ـكَ عبدُ المنصب والكَهَنَهْ؟[1]

فتطلّع صاحبنا بذلك على حقيقة الزَّعماء فغسل يديه منهم، ولكنّه لم ييئسْ فالتفت من ثمّ إلى هذه البراعم والزهور اليانعة... التفت إلى طلّابه يغرس فيهم روح الوطنية، ويؤلف لهم الأناشيد الحماسية الملحَّنة[2] ليتغنّوا بها ذاكرين أمجاد أمتهم متطلعين إلى أمانيها...

ووقف الأستاذ ذات يوم في طلّابه، في مدرسة «أنموذج البحصة» يخطب بحماسة بالغة، فأثار الطلّاب إثارةً دفعتهم إلى تحطيم صُور زبانية الاستعمار[3] التي أكرهوا على تعليقها في صدور محلّاتهم... وخرجوا في مظاهرة حادّة... وتصل الأنباء إلى المراجع المختصّة... فيحسّ «التقيّ» الثائر بخطر الموقف؛ فيترك «دمشق» لاجئًا إلى «الأردن».

---

(١) الظاهر أنّ هذا المقطع من القصيدة المشار إليها قبلًا، ولكنه غير موجود في القصيدة المطبوعة في الديوان، وقد أخذتُهُ من دراسة الأستاذ هندية، ص(٩).

(٢) كان يلحنّها له غالبًا الأستاذ «مصطفى الصواف»، كما ورد من حديث مع ابنه حازم. وقد أيّد ذلك ما ورد في دراسة الأستاذ محمد هندية، ص(٩). وسيأتي الحديث عن مؤلّفه «أغاريد التلاميذ» عند الحديث عن «التقيّ شاعرًا».

(٣) مزّق الطلاب الثائرون صورة الجنرال غورو الحاكم العسكري في سورية، التي كانت معلّقةً في غرفة إدارة المدرسة. من حديث مع ابنه حازم.

فاتّخذت السلطات السورية إثْر ذلك الموقف قرارًا بطرده من العمل مفسّرين عمله الوطنيّ تهاونًا في أمور الإدارة، حسبما جاء في سجلّ خدماته: «نُحِّيَ عن العمل لتهاونه في أمور الإدارة»[1].

وفي «الأردن» هيأ له أحد أصدقائه عملًا في إحدى مدارس «السلط» الأهلية... ويتجاوب «التقيّ» في مهجره السياسيّ مع كل نأمةٍ تقع في بلاده، وتتكشّف نفسه عن فيضٍ من شعر الحنين واللوعة على فراق الوطن الحبيب[2].

وتتكشّف «للتقيّ» بحسّه الوطني الصادق مؤامرة من مؤامرات الاستعمار، وهي ربط «الليرة السورية» بمقدرات «الفرنك الفرنسيّ»؛ وهي ما يعلِّق عليها بقوله: «الورقة السورية هذه يراد بها الليرة السورية الورقية المربوطة مقدّراتها بمقدّرات الفرنك الفرنسي، التي يصدرها في سورية البنك الفرنسيّ السوريّ. وقد هبطتْ قيمة هذه الورقة يوم هبط الفرنك في فرنسا هبوطًا شديدًا خربتْ بسببه بيوت كثيرين، وضاعت ثروات عظيمة»[3]. لذلك أطلق صرخة عالية عنوانها: «الورقة السورية بعد الهبوط»، مطلعها:

أَيَـا ورقـاتِ هـذا «البنكنـوطِ» هُـمُ قـدْ أصـدروكِ بـلا شروطِ

(١) هذه العبارة منقولة حرفيًّا عن دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٩)، عن سجلّ خدمات «أديب التقيّ».

(٢) هذا الصديق هو الأستاذ سعيد البحرة، وسنذكره عند ذكر ديوان التقيّ. دارسة الأستاذ هندية ص(٩).

(٣) حاشية الصفحة (٢٢١) من ديوان «التقيّ»، حيث قدّم للقصيدة.

لقــد أرهقْــتِ أقوامًــا خســارًا فَعاقبـكِ «المهمـين» بالسـقوطِ[1]

وعندما انطلق الثّورة السّورية عام (١٩٢٥م)، كان «التقيّ» في منفاه يراقب الوضع، ويصرخ متألّمًا لحال دمشق، وما حلّ فيها. وفي الديوان المطبوع قصيدة بعنوان «يوم الميدان، من مآسي الثورة السورية عام ١٩٢٥م»، وهي قصيدة تقع في واحد وخمسين بيتًا. مطلعها:

البرقُ هيّج منكِ الـذّكر فاهتـاجي وناشدي جلّقًا ما شئْتِ، أو نـاجي[2]

وبعد أن يعود «التقيّ» إلى وطنه من «الأردن»، ينقّل ناظريه في وضع الناس والحكومات القائمة على سياستهما فيراها أبعد ما تكون عن أداء وظيفتها. ففي قصيدة نظمها عام (١٩٣٠م)[3] بعنوان ما هذي الوزارات؟ يقول:

في كُــلّ يـومٍ لنـا عَـرشٌ تُـشيّدُهُ عــلى المطــامعِ أيْــدٍ أجْنبيّــاتُ

إنّي سئمتُ صدى الألقاب في بلدٍ يكــاد يُعــوزهُ مــاءٌ وأقــواتُ[4]

وفي مقطع صغير بعنوان «المعذرة» يسلّي الوطن الذي زعزعتْه النائبات فعانى ما عانى، فلا يجد غير دمه يبذله فداء له إن كانت فيه نجاته:

---

(١) «البنكنوط» كلمة أجنبية تعني الأوراق النقدية. ديوان «التقيّ» ص(٢٢١).

(٢) ديوان «التقيّ» ص(١٠٩)، مطبعة ابن زيدون، الطبعة الأولى عام (١٩٣٢م)، دمشق.

(٣) ذكر تاريخ نظم القصيدة والقصائد الأخرى الأستاذ هندية في دراسته، حيث وضع جدولًا سلسل فيه القصائد وتواريخها، لأنه اطلع على الديوان المخطوط.

(٤) ديوان «التقيّ» ص(٨١)، مطبعة ابن زيدون، الطبعة الأولى عام (١٩٣٢م)، دمشق.

هـذا دمـي الحـرّ مبـذولٌ إليـك فـدًى لوْ كانَ بَذْلُ دَمي ينجيك مِنْ خطرِ[1]

بين الشرق والغرب

إن المتصفّح لديوان «التقيّ» يجد فيه مجموعة من القصائد التي تتناول مسألة كانت تؤرّقه، وهي مسألة التفاوت الحاصل بين الشرق والغرب، واتساع الهوّة بينهما، وآثار ذلك سياسيًّا واجتماعيًّا وأخلاقيًّا... ولعل سببَ هذه القصائد تسارعُ ظهورِ المكائد والدسائس التي حاكتها الدول الغربيّة آنذاك، وتسابقُ لصوصها إلى نهب الخيرات والتراث العريق من بلاد الشرق على اختلافها. وقد أدى هذا إلى خيبة أمل المثقّفين والمتنوّرين في هذا الشرق الذين أملوا أن ينهض بهم الغربُ ويخلّصهم من تخلّفهم وقصورهم.

ونجد في الديوان خمس قصائد تحدثتْ عن هذه المسألة. ففي الأولى وعنوانها: «الشرق وأبناؤه» يصرخ محذّرًا أبناء الشرق ممّا يجري من نهب خيراته، مُرجعًا سبب ما آل إليه الحال إلى الابتعاد عن الصالح من الأسلاف، وتَغيُّر العادات والبذخ والاتجاه نحو الماديّة والبعد عن العلم. ومطلعها:

صِـيحَ في نَهبـك يـا شَرْقُ فخـفّ غـير وَانٍ، فمطايـاكَ عُجُـفْ[2]

وفي القصيدة الثانية التي عنوانها: «بين الشرق والغرب» حول خطاب «طاغور»

(١) ديوان «التقيّ» ص(٨١)، مطبعة ابن زيدون، الطبعة الأولى عام (١٩٣٢م)، دمشق.

(٢) ديوان «التقيّ» ص(١٠١)، مطبعة ابن زيدون، دمشق، الطبعة الأولى (١٩٣٢م).

شاعر الهند ألقاه سنة ١٩٢١م[١]. يوازن بين الغرب الذي طغى واستبدّ وزها بما فيه من تقدم على حساب الأخلاق والقيم وبين الشرق الذي زادت معاناته وهضم حقّه نتيجة هذا التقدم. يقول فيها:

نَعَمْ إنّكم أقوى، ولكنْ قواكُمُ أرى أنَّها حَضّتْ على هَضْمِنا حَضّا
تمدّننا أعلى منارًا، ورُوحنا بِرَغْمِ انحطاطِ الجِسْم عنْد العَلا أرضى

والقصيدة الثالثة عنوانها: «تظلّم الشرق»، وفيها يتحدث عن «لعبة حقوق الإنسان» التي ادعاها الغرب كلمة حقّ يراد بها باطل، مستنكرًا منه اختلاف قوله عن عمله، يقول فيها:

أَلَيْسَ صَغَارًا أيُّها الغَرْبُ أَنْ تُرى هَضومًا لحقِّ الشَّرْقِ إذْ أَنِفَ الأَسْرا
وأَنْتَ الذي حَرّرْتَ بالأمسِ جَاهدًا «حقوق بني الإنسان»، تُعْلنها

والقصيدة الرابعة «ندبة الشرق»، يذكر فيها نهضة الشرق التي بدأت بنبوّة محمد ﷺ وما أتبعها من خير للأرض قاطبة[٣].

على أنه يشير - من شدّة ذكائه وحسن قراءته لما جرى - إلى موطن الداء ومكمن

---

(١) هكذا جاء عنوان القصيدة في الديوان المطبوع ص(١٠١)، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى (١٩٣٢م).

(٢) ديوان «التقيّ» ص(١٠٤)، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى، عام (١٩٣٢م).

(٣) نشر «التقيّ» قصيدته هذه في دورية «العرفان» في المجلد العاشر الجزء الأول، الذي صدر في شهر ربيع الأول عام (١٣٤٣هـ) الموافق لشهر تشرين الأول للعام (١٩٢٤م) ص(٤٢). وهي في الديوان المطبوع في الصفحة (١٠٨).

العلّة حين يستنكر في قصيدته الخامسة ما يجري من أعمال باسم الدين وبمسوح الكهنة والرهبان زورًا وبهتانًا[1].

قضيّة «فلسطين»

كان واضحًا «للتقيّ» أنّ مؤامرات الغرب ضد الشرق كبيرة وخطيرة، وأنها لا تخلو من الأطماع الاستعمارية كما أشرنا. ولكنّ قضية فلسطين التي كانت في بواكيرها كانت بعض هواجسه ومخاوفه، فقد أشار في قصيدة «وداع دمشق» يوم غادر إلى القسطنطينية للمشاركة في الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م) إلى هذه القضية

أ«بابـلُ» في أرضِ الشـآم!؟ وهـل بَـدا بِسَـهلِ «أريحـا» لليهـود «يَشُـوعُ»؟[2]

وقد علّق «التقيّ» في حاشية هذه الأبيات بما نصّه

«هذا البيت إشارة إلى ما كان متوقعًا يومئذٍ من اتخاذ سورية ساحة حرب ... أريحا في فلسطين، وهذا البيت إشارة إلى الأجناس المتحاربة التي تجيء إلى سورية بسبب الحرب، وما يتوقع الصهيونيون من يهود الغرب من فتح فلسطين ليعيدوا ملك «إسرائيل».

---

(١) وردت هذه القصيدة مرتين، الأولى في الديوان المطبوع ص(١١٧) تحت عنوان «أين قومي»، والثانية: في دراسة الأستاذ هندية وعنوانها: «عن معهد جان دارك» في الصفحة (١٠). وقد أورد (هندية) بيتين غير موجودين في القصيدة المطبوعة في الديوان يشيران إلى هذه الأعمال، هما:

أدمشق عروس ذا الشرقِ تمسي هـــدفًا للخطـــوبِ والأرْزاءِ

مِـن قسـوسٍ وراهبـاتٍ ودَيْـرٍ ونـواقيسَ تعـتلي في الفضـاءِ

(٢) ديوان «التقيّ» ص(١٨)، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى (١٩٣٢م).

ثامنًا: قِيَمُ «التقيّ»

عاش «التقيّ» في زمنٍ عانى فيها مجتمعنا العربيّ أزمة حادّة تغيّرتْ على إثرها أكثر مفاهيمه، فالتّململ من استعمار بغيض منغلق امتدّ أربعة قرون؛ والتطلّع إلى عالمٍ منفتح منطلق نحو الحريّة والعلم أعمى أبصارَ الكثيرين لشدّة إبْهاره أو كاد؛ فراحوا يلهثون خلف ما يرون أنَّه سيروي غُلّتهم بعد ظمأ، وسيشفي نفوسهم بعد سقم، وكان أثر ذلك أن تبدلتْ مفاهيم وتغيرتْ أخرى.

ولم يتناول هذا مجالًا واحدًا أو مظهرًا بعَيْنه بل تناول عدّة مجالات. فقد لفت نظر التقيّ هذا الانطلاق الأعمَى نحو المفاهيم الطارئة المبهْرجة فأخذ يَنْقُضها ويحلّلها ويبيّن ما خفي منها، فقد تناول في ديوانه المطبوع قرابة عشرة مقاطع مختلفة المواضيع؛ أهمها موضوع التقاليد والاختلاط والسفور وتحرير المرأة... وما جرّ ذلك على المجتمع.

ففي هذه الأبيات التي بعنوان: (وادي الحجير) يصف الجمال الطبيعي ويراه أجمل من ألوانِ الحضارة المبهرجة، يقول «التقيّ»:

خُـذْ للحضـارةِ مـا تشـاءُ، وأعطِنـي في هـذه التَّلَعـاتِ عَـيْشَ البـادي[1]

ونراه كثيرًا ما ينتقد القيم والعادات التي طرأ عليها التغيير، وصارت عند الناس - رجالًا ونساءً - مستساغة مألوفة وهي التي نأت عن الأعراف المتّبعة والتقاليد الصحيحة، فنراه في مقطع «الشارب المحلوق»[2] ينتقد حلق الشارب الذي هو من

(١) ديوان «التقيّ» ص(١٢٤)، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى، عام (١٩٣٢م).

(٢) ديوان «التقيّ» ص(٢١٩)، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى، عام (١٩٣٢م).

علامات الرجولة، كما يصور في مقطعٍ ثانٍ بعنوان «الشيخوخة الفاجرة»[1] تصرُّف شيخٍ ممن اعتاد على المغازلة والمراودة وقد تعرّض لامرأة ذات صون، وماذا لقي في ذلك.

أمّا فيما يخصّ نهضة المرأة العربية، فـ«التقيّ» يبيّن رأيه بصراحةٍ فيقول: «كنّا وما زلنا مِنَ المروّجين والمحبِّذين لنهضة المرأة في بلادنا، ولسنا من القائلين ببقاء المرأة مُتسكّعة في الجهالة والغباوة ولكننا لن نكون يومًا من الأيّام من مروّجي دعوة التبرّج والتهتّك والخروج على الأخلاق والفضيلة تحت ستار النهضة والتقدم والتجدُّد!...»[2].

وفي قصيدة بعنوان «فتاة التجدّد» يصف الفتاة التي تركت عادة الحجاب واستجابت لدعوى الحرية الزّائفة فيخاطبها بهذه الصورة المعبرة:

مشـــيْتِ تهتـــزّين مشْيَـــ القطـــا هلّا احتشمْتِ اليوم في مِشْيتكِ[3]

ثمّ يبين كيف رفع الإسلام بشخص نبيه ﷺ وقرآنه الكريم من شأن المرأة، وكان أول الداعين لتحريرها الحريّة الحقَّة:

ألمْ يكـــنْ «أحمـــد» فـــيما مضىـــ أوّلَ مَـــنْ حـــضّ عـــلى نهضَـــتِكْ؟

ولمْ يكـــــنْ يومًـــــا كقرآنِـــــهِ مُســـــتنكر دعـــــوى عبوديّتِـــــكْ

---

(١) ديوان «التقيّ» ص(١٣٦)، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى عام (١٩٣٢م).

(٢) العبارة منقولة من دراسة «الأستاذ هندية» عن مقالة نشرها التقي في جريدة الأيام ص(١١)، دراسة جامعية عام ١٩٥٨-١٩٥٩م.

(٣) ديوان «التقيّ» ص(١٣٣). مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى عام (١٩٣٢م).

وفي مقطع آخر عنوانه «الجمال المصنوع» فضح ما آلت إليه حال المرأة التي تحرّرت من كل القيود وتبرّجت وبالغت في ذلك بقوله:

تحْتَ الثيابِ التي يَغْرِيك زخرُفُها نفسٌ تُدَنِّسُها الآثامُ والرِّيَبُ
كانَ الحياءُ لِذاتِ الخِدْرِ مَنْقَبَةً والصَّوْنُ مِنْ شأْنِها أيامَ تَحْتَجبُ[1]

ويقول في الحجاب والسفور: «ليست المسألة اليوم مسألة حِجَابٍ وسفور، ولكنَّها مسألة شرفٍ وأخلاق»[2]. وما مناداتهم بالسّفور إلَّا لغايات أخرى في نفوسهم:

رَوَّجُوا الفسقَ والفُجُورَ وقالوا إنّ هذي لعمرنا المدنيَّهْ
وَسَعَوْا بالمخدّراتِ فأغْرَوْ ها بألفاظ الرّقِّ والحريَّهْ[3]

أما ما طرأ على المجتمع من اختلاطٍ وملاهٍ وأفعال مستحدثة كرقص الفتى مع الفتاة في النوادي، فهي ليست إلا من اختراع: «أدمغة أناسٍ شهوانيين اتخذوا من أوقاع الموسيقى السّاحرة وسيلةً لحجب غاياتهم الحقيقية الشهوانية».

ولقد جرّ سفور المرأة على الشباب أن أصابهم بداء التخنّث... حتى صار الشاب يطيل المكوث أمام مرآته حتى ما عُدْتَ تفرّق بين الفتى والفتاة: «وكثيرٌ مِن تلك الوجوه الوضيئة التي جاوزت الرابعة والعشرين دالفة إلى الثلاثين لا تستطيعون أن

(١) ديوان «التقيّ» ص(٧٧).
(٢) العبارة منقولة عن مقالة نشرها التقيّ في جريدة الأيام. دراسة الأستاذ محمد هندية ص(١١).
(٣) هذان البيتان من دراسة الأستاذ محمد هندية ص(١١)، والمطبوع في الديوان فيه اختلاف في عجز البيت الأول. الديوان ص(٧٦).

تعيِّنوها فتيانًا أو فتيات...»[1].

وبالعودة إلى الديوان المطبوع نجد مقطوعات عالج فيها أمر هذه الأندية والمتنزّهات، ونبّه إلى الخطر الكامن فيها:

المقطوعة الأولى بعنوان: «يا جارتا» يتحدث فيها عن نهضة لبنان:

لبنانُ حين مضى في سعيه قُدُمًا ... قُلْنا: لقدْ عزّز الآدابَ والعَرَبَا

لكنّه لمْ يكدْ يسْتَدُّ ساعِدُهُ ... حتّى لقينا به الويلات والحَدَبَا[2]

ثم يضرب «التقيّ» في قصيدة أخرى عنوانها: «ليلة في صوفر»[3] كيف تحوّل جمال طبيعة هذه المنطقة الرائع وبراءتها البكر إلى مرتع للرذائل والمناكر.

وهناك قصيدة ثالثة أرسلها إلى صديق له أراد أن يعود إلى دمشق ونهرها، وقد كان قد حلّ في «منين»، فأرسل إليه التقي منبّهًا من أفاعيه، التي كنّى بها عمّا قام على ضفافه من حانات ومواخير وعنونها: «أفاعي بردى». وفيها:

«بردى» وفي أمْواهِهِ ... بُرءٌ لِوَارِدِهِ وسُقْمْ

لا تقربنّ ضفافهُ ... نفثتْ أفاعيها بِسُمّْ[4]

---

(١) من مقالة بعنوان «حديث في قطار» سمر في سفر، نشرها «التقيّ» في «مجلّة الإنسانية»، العددان ١٠و ١١ من السنة الرابعة، الصادرة عن مطبعة «ابن زيدون» في شهر المحرم ١٣٥٤هـ الموافق لنيسان من العام (١٩٣٥م) ص(٦١٢).

(٢) ديوان «التقيّ» ص(٨٠)، الطبعة الأولى مطبعة ابن زيدون بدمشق، عام ١٩٣٢م.

(٣) ديوان «التقيّ» ص(١٣١)، الطبعة الأولى مطبعة ابن زيدون بدمشق، عام ١٩٣٢م.

(٤) ديوان «التقيّ» ص(١٨٢)، الطبعة الأولى عام ١٩٣٢م، مطبعة ابن زيدون، دمشق.

ويرى الأستاذ «محمد هندية» في دراسته أن الشاعر «التقيّ» كان متأثّرًا بنعرة دينيّة شديدة الوضوح في البداية ما لبثت أن فترت بعد عودته من «الأردن» عام ١٩٢٧م. ولعلّها اتخذت منحًى وطنيًّا، ثم يعلّق بالقول: «أقول: لقد فترت عصبيته الدينيّة عمّا كانت عليه سابقًا، على أنّه ظلّ طوال حياته مثل التُّقى والورع، وإنّما في شيء من التسامح، وبات يتحيّن الفرص ليؤدي فريضة الحجّ، فوفّق إلى أدائها قبل وفاته بعام واحد»[1].

وكمثالٍ على هذه الحدّة والعصبية الدينيّة، نحيل القارئ الكريم إلى مقالين فيهما ردٌّ «للتقيّ» فيما يخصّ الأمور الدينيّة، نُشِرا في دورية «العرفان»، الأول: ورد في المجلد التاسع ص(٥٥٥) من الجزء السادس لعدد آذار (١٩٢٤م) الموافق لشهر شعبان للعام (١٣٤٢هـ) يردّ فيه على الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي آنذاك تناول فيه انتقاد الأستاذ كرد علي لكتابيه «التاريخ الإسلامي» و«التاريخ العام»[2]. والرد الثاني ورد في المجلد الحادي والعشرين في ص(١٠٨) من الجزء الأول لشهر كانون الثاني عام (١٩٣١م) الموافق لشهر شعبان للعام (١٣٤٩هـ) يردّ فيه على الأستاذ الشاعر خليل مردم بك لما ورد في رسالته (ابن المقفع).

(١) هذا الكلام استفاده الأستاذ هندية من صديق التقي المرحوم الحاج رشدي الحكيم الذي كان مدير ذاتية التقاعد في وزارة الخزانة. الدراسة ص(١٠).

(٢) سيرد الحديث عن الكتابين المشار إليهما عند الحديث عن «التقيّ ناثرًا».

الفصل الثاني
التقي شاعراً

يجدر بنا قبل الإبحار في قصائد «التقيّ» وأشعاره وأغراضه أن نتعرّف ما يمثّله شاعرنا بين الشعراء؛ فهو وإن حافظ على أصالة الموروث، وسار على سنن الأقدمين، فإنّه كان حلقة الوصل بين أولئك وبين المجدّدين الذي حلّقوا خارج السّرب، وأعملوا رأيهم بالآثار جرحًا وتعديلًا، ونقدًا وتفصيلًا.

يقول صديق الشاعر «التقيّ» الأستاذ الأديب «سعيد البحرة»[1] في تقديم ديوان صديقه التقيّ في كلمة بعنوان «كلمة في الشاعر»:

«... ذوق سليم، عاطفة بريئة، تفكير ناضج، وإحساس بعيد الغور بهنات الحياة وشوائب أعراضها، ثم تقدير حصيف لما يحفّ بها من روعةٍ وبهرج... ذلك كله إلى عصامية وقور مترفّعة قد جمعت إلى حبّ المحافظة وما يتلو ذلك ويتفرّع عنه من شدّة الحرص على أمجاد الآباء والزّهوّ بمناقب السلف والتدلّه بحبّ الوطن ومراتع الأجداد؛ أدبًا غضًّا، واطلاعًا واسعًا، وعلمًا ناضجًا، وثقافة شاملة. ذلك هو صديقنا «أديب» الذي أولينا تقديمه إلى القراء، وأظنُّهم ليسوا بقلائل، ولا سيَّما أنّ مذهبه في الحياة على حد قوله:

وَالمِسْكُ ما نَمَّ عليه الشَّذَا لا ما غلا في مدحَهَ بائِعُه»[2]

---

(١) سعيد البحرة: كاتب أديب ولد قبل شاعرنا «التقيّ»، وكانا في مدرسة واحدة، يسكن في دمشق قريبًا من «التقيّ»، وهما صديقان من أيام الطفولة والفتوة، ثم تخرج من جامعة باريس في مجال الفلسفة وعلم النفس، ساعده عندما فرّ من بطش الفرنسيين بإيجاد عمل في الأردن ثم عملا في التدريس والتربية معًا.

(٢) مقدمة الديوان المطبوع، ديوان «التقيّ» ص(١١)، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى، ١٩٣٢م.

وإليك شهادة أخرى تضاف إلى شهادة صديقه البحرة، وهي شهادة من درس حياته وشعره، وهو الأستاذ «محمد هندية»حيث يقول في مقدمة هذه الدارسة:

«... أما الدّراسة الجامعية فإنّها تفرض شيئًا من التعمّق، وتهتم في كثير من الأحيان بالجذور التي كوّنت الثمار، وتترك أمر الثمر نفسه إلى الطالب يستكمل به ثقافته... وغرستْ فينا هذه المزيّة الهامّة، فصرت لا أهتمّ بـ«نزار القباني» و«سليمان العيسى»، وغيرهما إلا بمقدار اهتمامي بما كوّن القباني والعيسى وغيرهما ومن كوّنهما.

ووقفتُ على شخصيات كثيرة تقوم من أدبنا الحديث مقام الجذور، ووجدتُ في هذا حلاوة ما كنت أشعر بها من قبل... وتعرّفت على سبيل الصدفة بشخصيّتي هذه «أديب التقيّ» أستاذ القباني، ورحت أتقصَّى أخباره وأتلقَّف أشعاره ونثره، وكان حالي معه كمرتاد البحر كلّما امتلأ جوفه من مائه أحسّ بصدى إلى مائه»[1].

وبالعودة إلى مؤلّفات التقيّ الشعريّة نجدها كما يلي:

١. الديوان المطبوع

وهو بعنوان «ديوان التقيّ»، وقد طبعه الشاعر بنفسه في مطبعة «ابن زيدون» في دمشق، وكان صاحبها صديق الشاعر الأستاذ «وجيه بيضون»[2] وذلك في العام

(١) من مقدمة دراسة الأستاذ محمد هندية المعدّة لجامعة دمشق بإشراف الدكتور شكري فيصل للعام (١٩٥٨-١٩٥٩).

(٢) وجيه بيضون أديب دمشقي المولد والوفاة، عمل في الطباعة وأدخل فنّ الروتوغرافور إلى سورية، وأصدر من مطبعته «ابن زيدون» مجلة الإنسانية، وله كتاب العبر، وفن الحياة، وصراع مع الحياة، وفنّ النجاح، وأناتول فرانس وغيرها. راجع من هو في سورية ٢: ٥١ ص١٢٣، والأعلام ج٨ ص١١٠.

(١٣٥٠هـ) الموافق لـ(١٩٣٢م) ويقع في (٢٤٠) صفحة من القطع المتوسط أبعاده (٢٣×١٥سم) وورقه أسمر.

يبدأ الديوان بصورة نصفية للشاعر «التقيّ»، ثم مقدمّته التي تحتل الصفحتين الثالثة والرابعة، ثم تقديمان للديوان: الأول بعنوان «كلمة في الشعر» للدكتور أسعد الحكيم[1]، وتحتل الصفحات من الخامسة إلى التاسعة. والثاني: بعنوان: «كلمة في الشاعر» للأستاذ سعيد البحرة تمتدّ على أربع صفحات، ثمَّ ترد بعد ذلك القصائد والمقطوعات الشعرية في مجموعات لكل منها عنوان شاعريّ المعنى موسيقيّ اللفظ تتسلسل كما يلي:

نبضات قلب: وفيه عشرون قصيدة، من (ص١٦-٤٥).

غوارب موج: وفيه ست وثلاثون قصيدة، من (ص٤٧-٨٢).

جروح وآلام: وفيه اثنتا عشرة قصيدة، من (ص٨٣-١١٧).

ألواح وصور: وفيه ثماني عشرة قصيدة، من (ص١١٩-١٤٧).

---

(١) الدكتور أسعد الحكيم: طبيب دمشق، ولد عام ١٨٨٦م، درس في مدرسة الآباء العازاريين ثم انتسب إلى المدرسة الطبية الفرنسية في بيروت، خدم في السلك الطبي في الأناضول والحجاز ثم عاد إلى دمشق وأشرف على بناء مستشفيين للأمراض النفسية والأمراض الجلدية ثم أُرسل إلى فرنسا للتخصص بالأمراض النفسية وعاد وعمل في وزارة الصحة. منح وسام الاستحقاق السوري، واختير عضوًا في المجمع العلمي العربي، وكان أول من استُقبل بالطريقة المجمعية التي أقرها المجمع، وذلك في احتفال يوم ٢٢/ ٦/ ١٩٢٣. له مؤلفات كثيرة ومسرحيات ومحاضرات. توفي عام ١٩٧٩م، وصلّي عليه في مسجد بني أمية الكبير. انظر (الدكتور أسعد الحكيم حياته وآثاره) د.عدنان الخطيب، و(مَن هم في العالم العربي) ج١، ومجلة المجمع، و(أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري).

ظلال وأوفياء: وفيه ثمان وثلاثون قصيدة، من (ص١٤٨-٢٠٨).

أماليح: وفيه عشر قصائد، من (ص٢٠٩-٢٢٤).

أغاريد: وفيه أحد عشر نشيدًا من (ص٢٢٥-٢٣٥)[1].

فهرست الديوان: بعنوان «مضامين الديوان» من (ص٢٣٦-٢٣٩).

وقد رتّبه التقي حسب القوافي، عدا القسم الأخير «أغاريد» فقد رتَّبه حسب وقوع أناشيده في الديوان، ثم في نفس الصفحة ٢٣٩ جدول الخطأ والصواب.

ونلاحظ على هذه العناوين السبعة أنّها لا تدلّ على مضامينها بدقّة، بل كثيرًا ما تندرج القصائد ذات الموضوع الواحد في أمكنة مختلفة، كما هو الحال في «من خواطر الحرب» إذ نجد قصيدة «وداع دمشق» ترد في «جروح وآلام»، و«ذكريات القفقاس» ترد في «ألواح وصور» وهكذا.

وقد بلغ عدد قصائد الديوان (١٤٥) قصيدة ومقطوعة، وقد حاول التقيّ شرح بعض ألفاظها الغريبة، وترك ذكر المناسبة التي قيلت لأجلها إلا فيما ندر.

٢. الديوان المخطوط

وهو مفقود - ويا للأسف - ولم يبْقَ منه إلّا وصف «الأستاذ محمد هندية» له، وهذا الوصف ورد في دراسته الجامعية المعدّة عام ١٩٥٨-١٩٥٩م، حيث اطلع على الديوان وقال فيه:

«ديوانه المخطوط: هو مجموعة كبيرة تضمّ ما يقرب من مئتيْ ورقة من القطع

(١) سيأتي تفصيلها لاحقًا عند الحديث عن الكتيَّب.

المتوسط، مغلفة بغلاف أسود، عليه ورقة تحمل العبارة التالية: «ديوان أديب التقيّ: دمشق – سورية»، جمع الشاعر في قسم منها أكثر إنتاجه الشعري.

ولقد قسم الشاعرُ نفسُه هذا المخطوطَ إلى جزأين؛ الجزء الأول: يشغل (١٥٤) صفحة، وهو الذي اختار منه الشاعر ديوانه المطبوع، وهو كما أسلفنا سابقًا من إنتاج الشاعر حتى سنة ١٩٣٢م. وأما الجزء الثاني: فيشغل تسع صفحات فقط، وهذا يدلّ على تضاؤل إنتاجه الشعريّ بعد سنة ١٩٣٢م. حتى إذا فكّر بإعداد الدكتوراه انقطع تمامًا عن قول الشعر.

ونلاحظ في هذا الديوان أنه غير مبوّب، كما يكثر فيه التنقيح والحذف، ولكنه يحتوي على حسنة واحدة وهي أن أكثر قصائده ولاسيَّما في أول الديوان مرتّبة حسب تاريخ نظمها؛ ولكن هذا الترتيب شذّ في بعض القصائد حيث قدّم الواحدة على الأخرى، أو أنّه أهمل بعض القصائد فتركها من غير تاريخ، ولكن نوشك أن نجزم بتاريخ مثل هذه القصائد ما دامت محصورة بين قصيدتين تحملان تاريخًا معيّنًا متقاربًا...»[1].

ثم يورد الأستاذ هندية أسماء وعناوين القصائد في هذا الديوان حسب تاريخ نظمها المذكور في أغلب القصائد، بعضها بالتاريخ الهجري وبعضها بالميلادي، فالقصيدة الأولى مثلًا: «الحنين إلى دمشق» التي هي في الصفحة (٥) من الديوان المخطوط تاريخ نظمها (١٣٣٢هـ)، والقصيدة الأخيرة وعنوانها: «تاريخ آخر» في

(١) دراسة الأستاذ «محمد هندية» ص١٤و ١٥، جامعة دمشق.

الصفحة (١٦٣) وتاريخ نظمها (١٣٥٣هـ)، وبينهما قصائد ومقطوعات، حافَظَ «التقيّ» على عنوانها، عندما طبع ديوانه إلا في قصيدتين.

أما القصائد التي لم تطبع في الديوان، والتي هي في تسع صفحات من الديوان المخطوط، فسنوردها في الفصل الثاني من الكتاب تحت عنوان «القصائد غير المنشورة» إن شاء الله تعالى.

٣. أغاريد التلاميذ – القسم الأول

كتاب صغير بحجم الجيب، وضع فيه «التقيّ»: «الأناشيد الوطنية» التي وردت في آخر الديوان المطبوع باسم «أغاريد»، واختار عنوانًا لها «أغاريد التلاميذ» بلغت صفحاته ثمانيًا وأربعين صفحة، ويحوي اثني عشر نشيدًا، وفي الصفحات الثماني الأخيرة سلالم موسيقية لألحان الأناشيد[1]. وفي المكتبة المحسنية نسخة من هذا الديوان قياسها (١١×١٣سم) وعدد صفحاتها (٤٠) أي بنقص السلالم الموسيقية للألحان.

قدّم التقيّ لمؤلفه هذا بالقول: «...وبعد فإنّه لا يُقصد من إدخال درس الإنشاد في عداد دروس المدارس الابتدائية إلا تربية الشعور الأخلاقي والقومي في التلاميذ...، ولما رأيت أن الأناشيد المدرسية أزرى بها بعض الألحان العامّية والمعاني والألفاظ السّوقية التي يجهد أصحابها ليقلّدوا بها بعض الأغاني الدارجة على ألسن السفلة... ويجعلونها في قوالب يأباها الشرع ويمجّها الطبع ولا يكون لها في النفس أدنى وقع، حملت نفسي على ركوب هذا المركب الخشن مع علمي بصعوبة تجشّمه، وأنشأت عددًا

(١) وَصْفُ ابنه حازم من حديث جرى معه.

غير قليل منها وسمّيتها «أغاريد التلاميذ». وراعيتُ في إنشائها التاريخ والطبيعة، وخاطبتُ بها التلاميذ عن طريقَي الحسِّ والمشاهدة، واخترتُ لها أشدّ الألحان تبهيجًا للنفوس.. وانتخبتُ لكل أغرودة لحنًا (نوطة) وعهدتُ إلى السيد مصطفى كامل بتوقيعها حتى أتتْ وهي فريدة في بابها...»[1].

٤. ديوان أوار الوجد ونوّار الرّند

وهو مفقودٌ - ويا للأسف - ولم يردْ ذكره إلا في دراسة الأستاذ محمد هندية في الصفحة (١٩).

٥. القصائد المشتركة

في دوريّة «العرفان» قصائد مشتركة بين ثلاثة شعراء هم: الشيخ أحمد عارف الزين صاحب «العرفان»، والشيخ أحمد رضا، والشيخ أديب التقي.

وقد وقعتُ على قصيدتين من هذا الأنموذج حيث يكون هناك تقديم لموضوع الأبيات؛ ووصف للزمان والمكان والمناسبة التي قيلت فيها، ثم إيراد الأبيات دون دلالة على صاحب كل منها[2].

---

(١) هذه النسخة موجودة في المكتبة المحسنية برقم (٣٣/ ٤٧/ ٣٦٢٣) مطبوعة في مطبعة الترقّي عام ١٣٣٩هـ، أي قبل طبع الديوان. وليس فيها السلالم الموسيقية للألحان، ويوجد عليها اسم الطالب عباس الصوص، وهو الآن أستاذ قدير لمادة الرياضيات.

(٢) القصيدة الأولى عنوانها: «وصف الضباب» في ص(١٣٢) من عدد تشرين الثاني للعام ١٩٢٤ المجلد العاشر. والثانية عنوانها: «على نبع المأذنة» ص(٤٣١) العدد الخامس من المجلد العاشر.

وهناك قصيدة ثالثة اشترك فيها الشاعران: أحمد عارف الزين، وأديب التقيّ البغدادي فقط. وقد أشار الشيخ الزين إلى أبيات كل منهما في الحاشية، وهي بعنوان «يا أيها المرج» وتحتل الصفحة (١٦٥) من الجزء الثاني لعدد شباط للعام (١٩٣٠م)، المجلد (١٩).

٦. القصائد غير المنشورة

من دواعي السرور ومسعدات الأقدار، أنّ الأبيات التي لم ينشرها «التقيّ» في الديوان المطبوع، والموجودة في الديوان المخطوط، لم تلحقها يد الضياع، ولم ينسها الإهمال، وذلك بفضل الأستاذ محمد هندية الذي أثبت في دراسته المعدّة عام ١٩٥٨-١٩٥٩م القصائد غير المنشورة التي نقلها من الديوان المخطوط الذي رآه ووصفه وأخذ عنه، وكذلك بفضل بعض القصائد التي نشرها «التقيّ» ولم يودعها ديوانه المطبوع.

وهذه القصائد حسب تاريخ نظمها القطعي أو المظنون - لوقوعها بين تأريخين - هي:

الدين والعلم[1]

اقصرْ فلا فلجٌ يغريك أوْ دعجُ يومًا ولا رجزٌ يلهيك أو هَزَجُ

(١) هي أول ما نشره «التقيّ» في دورية العرفان، وذلك في الصفحة (٣٦٨) من الجزء الثامن من المجلد الرابع للعام (١٩١٤م)، وقد صحّح «التقيّ» بخطه البيت رقم (٣٨)، وأضاف بخط يده بيتين - رقماهما ٢٣ و ٢٤ - ووضع قبلهما عبارة: «خطأ مطبعي».

امسكْ على الدّين في الأحوالِ قاطبةً ... لا يغلبنَّكَ فيهِ اللّوم والحرجُ

دعْ قولَ مَنْ لجَّ في دعواهُ مختبطًا ... لا يرعوي، واتركنْ مَنْ خُلْقُهُ سَمِجُ

لا بارَكَ اللهُ في قومٍ قَدِ امتُهنوا، ... سادَ الفسادُ بهمْ والهَرْجُ والمَرَجُ

ضلّوا وعنْ سَنَنِ العلياء قدْ بعدوا ... همُ المعازيلُ لا صيدٌ ولا كُلُجُ[1]

قومٌ قد اتخذوا الإلحادَ منهجهمْ ... والغيَّ مسلكهمْ يا بئسَ ما نهجوا

هُمُ الأفاعي إذا ما مسّهم سَعْبٌ ... هاجوا، وإنْ شَبَعٌ أطغاهُمُ اعْتلجوا

قاموا يدسّونَ سمَّ الخبْثِ في دَسَمٍ ... وليس للشرّ عنهمْ قطّ ملتحجُ[2]

* * * * * *

للهِ بيضةُ ذا الإسلامِ كم عبثتْ ... أيدي الطغاة بها والحقُّ منبلجُ

قَوْمي الأُولى قطّ ما ضِيْموا ولا اهتُضموا ... يومًا وعنْ خطّة العلياءِ ما عرجوا

شمّ المعاطس لا ينزون عنْ خَرَقٍ ... هُمُ المناجيبُ لا هوجٌ ولا هَمَجُ

صِيدٌ بغير التُّقى والزّهد ما عُرفوا ... يوما، ولا بسوى ذِكْرِ العُلا لهجوا

غرٌّ محامدهم ما أَمَّهم نصبٌ ... حاشاهم ما بهم أَفَنٌ ولا هَوَجُ[3]

ما لاح يوم الوغى في النّقع صارمُهم ... إلّا وراحَ ظلامُ النقعِ ينْبلِجُ

وشُزَّبٌ مِنْ مطايا العزم تزجرها ... كأنَّ وقع خطاها الحتفُ يرتَعجُ[4]

---

(١) الكُلُج: الأشداء من الرجال.

(٢) الملتحج: الملتجأ.

(٣) الأفن: نقص العقل، الهوج: الطيش.

(٤) الشُّزَّب: الضوامر، يرتعج: يرتعدُ.

مُسوّماتٌ غدت ترعى شكائمها ... لا النّقع يحجبها يومًا ولا الرهجُ
مضمَّراتٌ فلا تبغي الرياحُ لها ... شأوًا، ولمْ تثنها عنْ محتدٍ لُجَجُ
قاموا يذودون عنْ ذا الدين في هممٍ ... لوْ صارعتْ فَلَكًا لارتد يلتبجُ[1]
حتى إذا استأثر اللهُ العظيمُ بهمْ ... دُعوا إلى حيثما تَسْمو لهم دُرُجُ
وكمْ قضى منهمُ إبَّانَ معركةٍ ... مَنْ لا يروعه عند الوغى وَهَجُ

* * * * * *

يا قومُ دعواكُم في الدين باطُلةٌ ... إن لمْ تُضمَّ إلى دعواكم الحجَجُ
إذ أنتُمُ في زمانٍ قال قائله: ... لا يُحفَظُ الحقُّ ما لمْ تفْدِه المُهَجُ
والسَّيفُ أصدق مصحوبٍ نؤمّلُهُ ... يومًا، وأوفى صديقٍ لَيْس يخْتلجُ[2]
وكلّ ذي ترفٍ لا بدّ يَنْبذُهُ ... لينُ الحياة وإنْ طالتْ به الحجَجُ
فاعملْ لدنياكَ ما تسطيعُ مِنْ عملٍ ... واجهدْ لأُخراك إذْ في الغد تنْدرِجُ
وراقبِ اللهَ لا تبغي الفسادَ ولا ... تجنحْ لمعصيةٍ مِنْ بعدها النَّشَجُ
واجهدْ لتوطيد أمر الدّين محْتكمًا ... لا يستفزّك إبرامٌ ولا خَلَجُ[3]
واغنمْ فديْتُكَ حسنَ الأجْر مكتسبًا ... طيبَ الثناءِ، زكا مَنْ نَشْرُهُ الأَرَجُ

* * * * * *

والعلمُ خِدْنٌ إلى الأديانِ ما برحتْ ... تزهو بهِ الأُمَمُ المثلى وتبْتهجُ

---

(١) يلتبج: يضطرب.

(٢) هذا البيت والذي يليه أضافهما «التقيّ» بخطّه.

(٣) الخلج: تقلّص الأعضاء عن ونى وتعب. الإبرام: الإضجار.

أكرمْ بـه حُججا لـولاه مـا عُرِفَـتْ ... لله في الخلـقِ آيـاتٌ ولا حُجَـجُ
هـو السـبيل إلى الفـوزِ المبـينِ، ولا ... فـوزٌ لمـن غـيرَ نهـج العلـم ينـتهجُ
وفي الأولى قِـدْمًا جاشـتْ غـواربهم ... يقـودهُمْ خَطَـلُ الآراء والهَـوَجُ
ذكرٌ لِـمَنْ ليس في أسماعهم صَـمَمٌ ... ومَـنْ عـلى درج العليـاء قـدْ دَرَجـوا
لا العلـم مرتغـبٌ فـيهمْ ولا عَرفـوا ... نهـجَ الهدايـةِ إذْ فُلُّـوا ومـا فَلَجـوا[1]

* * * * * *

يـا قـومُ هـلْ نهضـةٌ للعلـم طافحـةٌ ... مِنْ أزمة الضّيق فيها يُرتجى الفَـرَجُ!
ألمْ تَـروا الـدِّينَ قـدْ غـارتْ كواكبُـه ... وأصـبحَ الكفـرُ في الإيـمانِ يعـتلجُ
وفـيكمُ العلـمُ قـدْ جُـذَّتْ سـواعدُه ... وقـدْ تحطّـمَ منـه الأنْـفُ والثَّـبَجُ[2]
فِـيمَ القعـود وفي الأعـراقِ منجَبَـةٌ ... في غـيرِ طينـةِ زاكـي المجدِ لا تَشِـجُ
تنمى إلى الصّيد مِنْ عدنان ما برحوا ... في قنّـة المجـد هُـمْ أضـواوءُه السرُ ـجُ
بـيضٌ مطـاعيمُ غـيرَ الجـود مـا ألفـوا ... وغـيرَ غـابِ المعـالي قـطّ مـا ولجـوا
لمْ يثـنهمْ عـنْ ورودِ المـوتِ معـتَركٌ ... فيـــه تكافـــأت الأرواح والمهَـــجُ
والغرب في العلمِ قدْ ثـارتْ عواصفُهُ ... هُوْجًـا بهـا حَـرجُ الأيـام ينفـرجُ
والجهل قد طُمِسَتْ أعلامه وغـدتْ ... قاعًـا بهـا لا يُـرى أمْـتٌ ولا عِـوَجُ
وعنـــدنا لمْ تـــزلْ مُـــثلى مرابعـــهُ ... مريعـــةٌ، وبهـــا زَوْجُ الهـــوى بهـــجُ

(١) فُلّ الجيشُ: انكسر وخسر، فَلَجَ على خصمه: ظفر وفاز.

(٢) الثّبج: الظّهْرُ وما يحويه.

ودوحــةُ الغــيّ لمْ تنفــكَّ عــامرةٌ منهــا المنــازلُ فيهــا الفســق مبــتهجُ
قد فتَّحوا كلّ ما في الجهلِ مِنْ رتَجٍ والعلمُ - كالدينِ - لمْ يُفتحْ لـهُ رتـجُ
فَـالْقحْ برأيـك علـمًا لسـتَ تنبـذُهُ واجْهد لكيْ لا يضيع اللقْحُ والنَتَجُ[1]

أما في الديوان المخطوط الذي أشرنا إليه فهناك قصائد لم تنشر نضعها حسب ترتيب نظمها نقلًا عن دراسة الأستاذ محمد هندية أحسن الله إليه، ونبدأ بأبيات هجاء شخص لم يذكر «التقيّ» اسمه. وتاريخ نظم القصيدة على الأغلب (١٣٣٧هـ). وهي:

تهـدّدنا بـالقول يـا ذا، وشـدّ مـا تَهـدّد ذو اللـؤم الكـريمَ وأوعـدَا
ولـيس سكوتي اليـوم عنـك بمانعـي فَخَـارًا ومجـدًا واعـتلاءً وسـؤدَدا
وإِنّي مِـنَ القـوم الـذينَ يسـيئهم مقابلـةُ النـذلِ اللئـيمِ بـما بـدا
سـلكتَ سـبيلَ اللـؤمِ حتّـى كـأنّما غـدا لـك مِـنْ دون اللئـام مُعَبَّـدا
ونحـنُ سـبيلُ المكرمـاتِ سـبيلُنا تَخِـذْناهُ للعليـاءِ والمجـدِ مصْـعَدا
نُجِـلّ نفوسًـا زانهـا الله بـالتُّقى وبـالعلمِ والخلْـقِ الكـريمِ وبالهـدى
ونُعْظِمُهـا عـنْ أَنْ تشـاكلَ جـاهلًا سـفيهًا تـردّى للمثالـبِ أبْـرُدا
وضَدّان: هـذا في الحضـيضِ مقامُـهُ، وهذا ارْتقى في هامَةِ النَّسْرِ مقْعَـدا[2]

وهذان البيتان نُظما في التاريخ نفسه، وهما:

ومِـنَ الـبلاءِ عـداء ذي عقـلٍ ومسألة الخسيس ولـوْ لشربةِ مـاءِ

(١) مجلة «العرفان»، الجزء الثامن من المجلد الخامس للعام (١٩١٤)، ص(٣٦٧)، صيدا ، لبنان.

(٢) وردت في الصفحة (٣١) من الديوان المخطوط. دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٥٧).

وأَشدُّ مِنْ هذا وذاكَ على النفوس تَـأَمُّر اللُّؤَمـا عـلى الكُرمـاءِ[1]

وفي إسداء المعروف دون مَنٍّ، يقول في العام نفسه:

إذا أسـديت معروفًـا لِشـخْصٍ فحـاذرْ أن يـلي المعـروفَ مَـنُّ
فـإنَّ المـنَّ للمعـروفِ مَـاحٍ ويخسرُ كـلَّ أجـرٍ مَـنْ يَمُـنُّ[2]

وفي شكوى الزّمان يقول:

لَسْـتُ بالعاتـبِ يومًـا إنْ أساءَ الصنْعَ دهـري
غَـدَرَ الـدهْرُ بِقـومٍ لمْ أكُـنْ مـنْهمْ بخـيرِ[3]

وبعد معركة «ميسلون» ودخول «غورو» دمشق ذهب أهل دمشق لزيارته، فكتب هذه الأبيات في ٧ آب عام ١٩٢٠ بعنوان «**اللقاء الكافر**»:

أَأهل دمشق كيفَ سالمتمُ العدى؟! وكيـفَ رضـيتم بالمذلَّـة والأسْرِ
وَنِمْـتمْ عـلى شـوكِ الهـوانِ وتلكُـمُ ضَحاياكُم في «ميسلونَ»، قرى النّسْرِ
بلادكـمُ اجتيحـتْ وتلـكَ رجـالُكُمْ موزّعـة الأشـلاءِ في مهْمـهٍ قَفْـرِ
أتفضـون والأقـذاءُ مِـلءُ جفـونِكُمْ ولمْ تَثْـأَروا لِلْهـالكينَ بـلا وِزْرِ
أَلا هـلْ دريْـتمْ أنكـمْ إِذْ خـرجتُمُ تلاقون «غورو» قدْ صَبأتمْ إلى الكُفْرِ

(١) وردت في الصفحة (٣١) من الديوان المخطوط. دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٦١).

(٢) وردت في الصفحة (٣١) من الديوان المخطوط. دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٦١).

(٣) نظمها الشاعر عام (١٣٤٠هـ). وقد وردت في ص(٦٩) من الديوان المخطوط. دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٦١).

ومِـنْ عجـبٍ أنْ تخرُجُـوا لِلقائِـهِ وتلكَ دماكُمْ في الربى لمْ تزلْ تجْري[1]

وتحت عنوان «منظر مُفْجع» كتب عام (١٩٢٠م) هذه الأبيات في وصف موكب الحسين عليه السلام في طريق عودته بعد معركة كربلاء عام (٦١هـ)، وقد اختار لها عنوانًا ثانيًا هو «**بعد الواقعة**»:

لِـمَنِ الـرؤوسُ عـلى القنـا مرفوعـةٌ ومَـنِ السّـبايا بـالعراءِ تسـيرُ

وَمَـنِ الصـغارُ أنينُهـا يـدمي الحشـا لاحَ الغـداة وجوهَهـا التهجـيرُ

وَمَـنِ المكبّـلُ بالحديـدِ تخالُـهُ شـبحًا عـلى شُـعبِ الرّمـالِ يمـورُ

وَمَـنِ النّسـاءُ النّادبـاتُ حَـواسرًا شَرِبَ الثـرى مِـنْ دمعهـا والكـورُ

شَرِقَـتْ بعبْرتهـا وفي أَحشـائها لِتَتَـابُعِ الأحـزانِ شَـبَّ سـعيرُ

قـدْ كُلِّفَـتْ فـوق الـذي تسـطيعُهُ وتحمّلـتْ مـا لا يُطيـق «ثبـيرُ»

وَتَجَشَّـمَتْ في البيـدِ أَغبـابَ السّـرى لا غـابَ كافِلُهـا وعـزّ نصـيرُ

هتـكَ العـداةُ سـتورهنّ فـأُبْرِزَتْ مـذعورةً لمْ تخْفهـنَّ سُـتورُ

تلـكَ الوجـوهُ المشرـقاتُ كأنّهـا في حالـكِ اللّيـل البهـيمِ بُـدورُ

لـوْ قابلتْها الشمسُ في رأدِ الضحى لارتـدَّ مِنْهـا الطَّـرْف وَهْـوَ حَسـيرُ

باتـتْ مرمّلـةً عـلى وجـهِ الثَّـرى تَسـفي عليهـا شـمألٌ ودبـورُ[2]

---

(١) الديوان المخطوط ص(٥٤). دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٥٨).

(٢) الديوان المخطوط ص(٥٥). دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٦٤).

ونظم «التقيّ» هذين البيتين رثاءً لوفاة والدية في شهر واحد كما مرَّ، وذلك عام ١٩٢٧م، والأرجح أنهما قبل (١٧) نيسان لأنهما وقعا قبل «موشحة على ذكر الوطن»:

يـا ذارف الـدّمْعِ عـلى راحـلٍ إنّي ذرفتُ القلـبَ مِـنْ مـدْمعي
هذا دمي في وجنتي قـدْ جرى وَمُقلتـي سـالتْ معَ الأدْمـعِ[1]

وتحت عنوان: «**في منزل الصّحب**» نظم هذه الأبيات على ذكر معهد «جان دارك» معرّضًا بأمّته الغافلة، وذلك في شوال من عام ١٣٤٦هـ:

نبـــأٌ جاءنـــا مـــن الأنبـــاء أي أمـــر في حـــارة الشـــهداءِ؟
عصـــبةٌ لـــلآداب فيـــه أقامـــت ناديًـــا ضَـــمَّ نُخْبـــة الأُدبـــاءِ
تَخـذوه مـوحى الهـوى وأقـاموا فيـه سـوقًا للشـعرِ والشـعراءِ
رصـدوا مـن ظبـاء «جنـدرك» عينـا سـانحاتٍ يـبرزْنَ كـلَّ مسـاءِ
راميـاتٍ مِـنَ الجفـونِ نبـالًا، طاعنـاتٍ بالقامـةِ الهيفـاءِ
آسراتٍ بلحظهـا فاتنـاتٍ، سـاحراتٍ بالمقلـةِ الكحـلاءِ
لاعبـاتٍ بكـل لـبٍّ رجـيحٍ عابثـاتٍ بِعفَّـةِ الأتقيـاءِ
لا يـداوينَ مَـنْ جـرحْنَ، ويجهـزِ نَ عـلى مـا يبقِينَـهُ مِـنْ ذمـاءِ
ويـحَ «جنـدركَ» أيُّ خطـبٍ ملـمٍّ بعثْتْـهُ لِجلَّـقَ الفيحـاءِ
باسْـمها شـيَّد القسـوسُ بنـاءً قـدْ تعـالى، عـنِ الفضـيلةِ نـائي
تخـذوه لكـي يُضِـلّوا ويـدْعُوا ليَسـوعٍ وأمّـهِ العـذراءِ

(١) الديوان المخطوط ص(٩٧). دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٥٣).

ينثـــرُ القِـــسُّ فيـــه كـــلَّ نهـــارٍ صُـــحُفًا للتضـــليلِ والإِغـــراءِ
تحـــتَ ذيَّالِـــكَ الـــرّداءِ قلـــوبٌ مثلـــهُ في أصْـــباغها الســـوداءِ

أَدمشـقُ عـروسُ ذا الشرـقِ تمْشي هـــدفًا للخطـــوبِ والأرْزاءِ
مِـــن قســـوسٍ وراهبـــاتٍ ودَيْـــرٍ ونـــواقيسَ تعـــتلي في الفضـــاءِ
وحوانيـــتَ للـــرواقصِ شَـــتّى ومـــواخيرَ للخنـــا والبِغـــاءِ
ســـلبتْها الأيَّـــامُ ثـــوبَ عفـــافٍ كـــان إلَّا صُـــبابةً مِـــنْ حيـــاءِ(*)
دارك اللهُ أُمَّـــــةً تـــــتردّى في مهـــاوي الفحْشـــاءِ والأهْـــواءِ(*)
صـدفَتْ عـنْ نهـجِ العـلا فاستمرَّت مِـــنْ شَـــقاءٍ مســـتحكِمٍ لِشَـــقاءِ(*)

أيُّهـــا المصـــطفى وأنـــتَ جـــديرٌ بِـــولاءٍ وصُـــحْبَةٍ وإخـــاءِ(١)
قـــدْ تَغرَّسَـــتْ فيـــكَ نفـــسُ أديـــبٍ يَحتـــذي حَـــذْوَ أحمـــدٍ والطّـــائي
أجـــدبَتْ تُربـــةُ القَـــريضِ فـــأَمْطِرْ هَـــا بِصَـــوبٍ مِـــنْ ديمـــةٍ وطْفـــاءِ
إنّـــما الشّـــعرُ للنّفـــوسِ غِـــذاءٌ ولِصَـــدْأى الأرواحِ خـــيرُ جـــلاءِ

(*) الأبيات التي وضعت لها علامة النجمة موجودة في الديوان المطبوع تحت عنوان: «أين قومي!» مع اختلاف في بعض الكلمات في الصفحة (١١٧) من الديوان المطبوع.

(١) هذا البيت والثلاثة التي تليه كتب «التقيّ» بخطّه إلى جانبها عبارة: «تفرد لنفسها» الديوان المخطوط ص(١٠٨). دراسة الأستاذ هندية ص(٥٩).

ليت شعري أيُرجِعُ الدّهر قومي؟! أَينَ قومي؟ طال الغداةَ دُعائي(*)

وَكَأَنّي إنْ رحْتُ أندِبُ قومي ناطحٌ أصلَ صخرةٍ صَمّاءِ(*)

جَرَّ ذيلَ العفاءِ دهرٌ عليهمْ أيُّ ذيلٍ قَدْ جرّهُ لِلْعفاءِ(*)

في قرارِ التّرابِ أيُّ رُفاتٍ للجدودِ الماضينَ والآباءِ(*)

يا رُهونَ اللّحودِ طبْتمْ وطابتْ تربة تُسقى بالدّموعِ الرّواءِ

ما مللْنا سكْبَ الدموعِ عليها ومريرَ البكا، وطولَ الثواءِ

ليتَ أجداثكم تشقّقُ حينًا فتُطلّوا منْها على الأَبْناءِ(*)

قَدْ أهانوا رُفاتَكُمْ وهْيَ تربٌ حينَ داسوا على الثرى بِحِذَاءِ

إنّ دَمًا أرقْتموهُ بِفَتْحٍ قدْ حَسوهُ بأكْؤسِ الصّهباءِ

شغلتْهمْ رذائِلُ النفسِ عنْ أنْ يقْتفوا إِثْركمْ بيومِ عَلاءِ

قدْ تركتمْ عِلًا وثَراءً فأضاعوا كلَّ العلا والثّراءِ

وإِذا الوحيُ لمْ يُضرْهمْ بقولٍ فعذيرٌ أنْ لا يضيرَ ندائي(١)

وفي العام (١٩٢٨م) نظم مقاطع تخصّ لبنان، المقطع الأول بعنوان: «**دع جزينًا**»:

دعِ اليوم جزّينًا وصيّفْ بِغَيْرِها لحا اللهُ جزّينًا وشالوفَ جزّينِ

رطانةُ أعجامٍ بنازِلِ رَبْعها وفي ساكنيها صورةُ الماء والطينِ

لقد حَمدُوا الشالوفَ فيها ولو دعوا لما حمدوهُ وهْوَ «بولُ البساتين»

(*) الأبيات التي وضعت لها علامة النجمة موجودة في الديوان المطبوع تحت عنوان: «أين قومي!» مع اختلاف في بعض الكلمات. في الصفحة (١١٧) من الديوان المطبوع.

(١) الديوان المخطوط ص(١٠٧-١٠٨). دراسة الأستاذ هندية ص(٥٨-٥٩).

وما نزلَ الشالوفَ غيرُ قُمامةٍ على الصّخرِ قامت أو قرارةُ سِجّيْنِ
وقالوا: الظباءُ العينُ حولَ بيوتها فقلتُ: وأينَ العينُ مِن ذي الملاعينِ[1]

وفي هجاء لاذع يقول في بيتين تحت عنوان: «**مصايف لبنان**»:

قالوا وما لبنانُ قلتُ مجاوبًا بلدٌ يعيشُ بمورِدِ «التعريصِ»
أَنا لا أخصّصُهُ مكانًا واحدًا قَدْ جلّ في هذا عنِ التّخصيصِ[2]

وتحت عنوان: «**السافرات**»، يقول:

على الشالوفِ كمْ ظبيٍ غريرٍ تصيدُ القلبَ مِنْه المقلتانِ
وورْدٌ في الخُدودِ أراهُ يزهو على قدٍّ يميسُ كغصْنِ بانِ
أَسافرةَ المحيّا وهْوَ شمسٌ بربّك حجّبيه عَنْ عيانِي
بنورِ الشّمس محيا لِلْبرايا ووجهُكِ فيهِ مقْتلُ كلِّ عانِ
سألتُ اللهَ يُنجيني بخيْرٍ مِنَ الأجفان والمُقلِ الحِسَانِ[3]

ونظم خمسة أبيات عام (١٩٢٩م) عنوانها (**الله أوصى بالجار**):

ماذا عليكِ وأنتِ اليومَ جارتنا لوْ زُرْتِنا مرّةً يا «أمَّ إيفونِ»
اللهُ أوصى بجارِ الجَنْبِ فالْتمسي- رضى الإله بوعدٍ منكِ مضمونِ
جئتِ الكنيسةَ عَنْ عمْدٍ مصلّيةً فراحَ كلّ مصلٍّ جِدَّ مفْتُونِ
سَلبْتِ عيْنَ المها في سرْبِها حَوَرًا ورُحتِ لمْ تتركي في السّرب مِنْ عِينِ

(١) الديوان المخطوط ص(١١٦). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٠).
(٢) الديوان المخطوط ص(١٥٨). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٠).
(٣) الديوان المخطوط ص(١١٨). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٠).

تمشـين مشيَ ـ نعـام الـدوِّ بَخْـتَرَةً وفيـكِ مـا في نَعـامِ الـدوِّ مِـنْ لِـينِ[1]

وعندما أصابته الحمّى وكان على الأغلب في سنته الثانية من دراسته الجامعية، كان موعد الامتحان (الفحص) فقال:

إنّي أتيتـكَ والحمّـى تُـدافعني أكـادُ مِـنْ وقْـدِها الأجّـاجِ أحْـترقُ
سَـلْني فـإنّي كـما قـدْ كُنْـتَ تعهـدُني مشـمّرٌ لِلْمعـالي الغـرِّ مسْـتَبِقُ
فـإنْ عثـرْتُ فأسْـحِجْ في مُقـابَلَتي قدْ يعثُر الطرْفُ قسْرًا، وَهْـوَ منطَلِـقُ[2]

وقال في مقطوعة يصوّر فيها حاله وهو يدرس للامتحان وقيلت في العام ١٩٢٩م:

يـا رابضًـا في «منـينْ» حيـثُ المقـامُ المنيـعْ
وقابعًـا في زوايـا بِهـا يطيـبُ القُبـوعْ
تظـلُّ بـينَ سُـطورٍ مِـنَ الكتـابِ تضـيعْ
وتـارةً في ريـاضٍ مَـعَ الـورودِ تَضُـوعْ
«الفحْـصُ» حـلَّ فـماذا أعـددتَ وهْـوَ المـروعْ؟
الوقـتُ وهْـوَ قصـيرٌ يمـرُّ وهْـوَ سَريـعْ
مَـرارةُ السّـهدِ يـرضى بهـا الطمـوحُ الطمـوعْ
لِعلْمِـهِ أنْ سـيحْلو بعـدَ السّـهادِ الهُجـوعْ[3]

(١) الديوان المخطوط ص(١١٨). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٠).

(٢) الديوان المخطوط ص(١٣٥). دراسة الأستاذ هندية ص(٦١).

(٣) الديوان المخطوط ص(١٣٥). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٢).

ونظم في أواخر عام (١٩٢٩م) وأوائل العام (١٩٣٠م) هذه الأبيات عندما شاهد العلم البريطاني متسائلًا:

انْظُــرْ إلى عَلَــمٍ حواشــيهِ ... قـدْ طُـرّزتْ بـالفتْح والنصْرِ

عَلــمٌ يظــلُّ عليــه خفاقًــا ... بـأسُ القـويّ وعـزّة المثْـري

العقْــلُ والتّــدبيرُ في شــطْرٍ ... والجيْشُ والأسْطولُ في شَطْرِ

أَتُـرى يكـونُ لأمّتـي علـمٌ!؟ ... وقـدِ انطـوى في غـابرِ الـدّهْرِ

يَعْــدُوهُ منشــورًا نؤيّــدُهُ ... بفيــالقٍ مِــنْ عسْـكَرٍ مجْـرِ[1]

ونظم «التقيّ» مقطوعتان حول «ميماته»[2]، الأولى عنوانها: «**أوصيكم بميماتي**» وقد أحسّ لدنوّ موعد الامتحان بدنوّ أجله:

يــا أيّهــا الماجــدُ «المحمــودُ» مخــبرُهُ ... ضاقتْ عليَّ لقرْبِ (الفحصِ) أوقاتي

مــنْ لي بــرأسٍ سِــوى رأسي أحمِّلُــهُ ... بعضَ الذي ناءَهُ مِنْ عـبءِ ساعاتي

إن الثّلاثينَ والخمسَ التي انْصَرَ-مَتْ ... لمْ تبقِ مِنْ مطْمحٍ في النّفْسِ لـلآتي[3]

مَــنْ كــانَ يــوصي بأيتــامٍ ليــتْمِهمُ ... فـإنّني جئـتُ أُوْصـيكُمْ بمـيماتي[4]

والثانية: «**لأجل الميم**» أيضًا:

يــا ليْــتَ شــعريَ والأيــامُ غالبــةٌ ... وأنــتُمُ ملجــأ المغلــوبِ إنْ ضِــيمَا

---

(١) الديوان المخطوط ص(١٤٠). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٤).

(٢) لا يوجد ما يشير إلى المقصود بالميمات هنا.

(٣) كان عمره آنذاك خمسة وثلاثين عامًا.

(٤) الديوان المخطوط ص(١٤٧). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٥).

مــاذا تقولــونَ لِلْمحتــاجِ مــيمَكُمُ إنْ جاء يطلبُ منكُمْ هـذهِ «المِيما»[1]

ويقول في مقطع: «**لذكرى العراق**»، والأغلب أنّه نُظم عام (١٩٣٢م) أو بُعيدها:

وخَلَّفْـتُ بغـدادًا وفي دِجلـةَ الهـوى وجـاذبني للـماءِ مِـنْ بَـرَدَى شَـوْقي

وإنْ كنْـتُ فارقـتُ العـراقَ فـإنَّني على البيْنِ لمْ يبرحْ بِهِ واشـجًا عِرْقي

إذا ذُكِـرَتْ بغـدادُ هَـاجَ لِيَ الأسـى حنيني إلى بغدادَ والجانِبِ الشّرقي[2]

ويصف في قصيدة منْ سبعة وعشرين بيتًا شيخًا تعرّض للأذى، وتاريخها أوائل ربيع الأول عام ١٣٥٢هـ، وعنوانها: «**يا رب سلّم لحيتي وعمامتي**»:

في الرّبْـوةِ الغنـاءِ يـومٌ أسْـودُ ظِـلٌّ عليـهِ مِـنَ الظّـلامِ مُمَـدَّدُ

مَـا روعيـتْ لِلشـيخِ فيـهِ حُرْمَـةٌ حتَّـى غـدا في البركتـينِ يمـدَّدُ

قَـدْ غطّسـوني فـيهما فكـأنَّني طفـلٌ بِجِـرنِ كنيسـةٍ يتعمَّـدُ

أمَّـا الثيـابُ فإنَّهـا غُمِـرَتْ مَعـي في البركتـين كأنَّهـا تَتَـبرَّدُ

وا رَحْمَتـا لِلشـيخِ يبـدُو عاريًـا للنَّـاسِ تظهـرُ سَـوْأتاهُ فيحمـدُ

قـدْ جـرّدُوهُ مِـنَ الثّيـابِ وعرَّضـوا جسـدًا لـهُ للشّـمسِ وهْـوَ مجـرَّدُ

أَ«بكْـربلا» يـا قـومُ نحـن فأغتـدي مثلَ «الحسـينِ» عـلى الـتّرابِ أوسَّـدُ

ويبـاحُ فـيما بيـنكُمْ هضْـمي ويلْقـ ـيني عـلى وجهـي الأديـبُ محمّـدُ

أَلِمِثْـلِ هـذا جئـتمُ تـدعونَنِي! مـا هكـذا يُـدعى الكـريمُ ويُرْفَـدُ

---

(١) الديوان المخطوط ص(١٣٧). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٥).

(٢) الديوان المخطوط ص(١٥٧). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٥).

أنـا لسْـتُ أُنْكِـرُ أنكـمْ أنْـدى يـدًا ... مِـنْ حـاتَمٍ يـومَ السَّـماحِ وأجْـوَدُ

ودليـلُ هـذا الجـودِ أنَّ نـزيلَكُمْ ... بالمـاءِ يُقْـرى أوْ بِـهِ يتمـدَّدُ

لـولا الصّـلاة جماعـةً فيهـا استوت ... خلْفي الصـفوفُ فراكعـونَ وسُـجَّدُ

لظللْـتُ مفـترشَ الأسـى مُـتجَهّمًا ... أُرغـي مـن الغـيظِ الشّـديدِ وأُزْبِـدُ

وأَمَـمْتهمْ مـا الشـافعيُّ ومالـكٌ ... وأبـو حنيفـةَ وابْـنُ حنبَـلَ أحمـدُ

يـا نقْمـةً صُـبّتْ عـلى رأسي ومَـا ... ليْ بيـنكمْ يـا قـومُ فيهـا مسـعدُ

مـنْ بعـدِ تبليـلِ الثّيـابِ ووقْعَتـي ... كـانَ الفـدا (مخلوطـةً) لا تُحمَـدُ

يـا ليتنـي لمْ أمـشِ مِـنْ دَارِي ولمْ ... أقطـعْ ذرى (المنشـارِ) وهْـو محـدَّدُ

أَنا «أشعبٌ» جازفتُ في طلبِ المُنى ... فوقعـتُ لا رِجْـلٌ تقينـي أوْ يَـدُ

وتنـاولوا بالهـذْرِ طَـاهِرَ لِحْيَتـي ... لا تقربـوا مِـنْ لحيتـي وتبعّـدُوا

هـيَ لحيـةٌ نبتـتْ عـلى التّقـوى ومَـا ... بَرحـتْ تغـذَّى بـالتَّقى وتُسَـمَّدُ

في كـلِّ منبـتِ شـعرةٍ منْهـا تَـرى ... سُرُجًـا تشـع وأَنْجُـمًا تتوقَّـدُ

هـيَ في اللَّيـالي المظلـماتِ كواكـبٌ ... تهـدى إليهـا السـالكونَ وتُرْشَـدُ

مـا المسـكُ إلَّا مِـنْ شَـذَا نفحاتِهـا ... المسـكُ ينفَـدُ وهـي ليسـتْ تنفَـدُ

طَرِبـوا لهـا واسْتأنسـوا فكـأنّما ... غنّـاهُمُ فيهـا «الغَـريضُ ومَعْبَـدُ»

حِنّـا خُراسـانٍ دواءُ مشـيبها ... فهْـوَ الوقـاءُ وكـلّ صـبغٍ يجـردُ

خَـربَ العمامـةَ بعضـهمْ لِنِكـايتي ... والآخـرونَ بِلحْيتـي قـدْ عربـدوا

يــا ربِّ سَــلِّمْ لحْيتــي وعمامتــي فَهــما لنَــا للــرّزقِ بــابٌ يُقصــدُ[1]

وتحت عنوان: «**إلى الراحل العظيم**» فيصل الأول رثى «التقيّ» عام (١٩٣٣م) قائلًا:

الملْـكُ غابـتْ عـنْ حمـاهُ شموسُـهُ وخـلا مِـنَ الليـثِ الغضـنفرِ خيسُـهُ
قـدْ أغمـدَ البتـارَ «فيصـل» يعـربٍ قَـدَرٌ كَمُسْـودّ الـدّجى حنديسُـهُ
غَمَسـتْهُ في وَدَجِ المعـامعِ كفُّهـا حتّـى تَقَطّـر بالـدّماء مغْموسُـهُ
نـادي العروبـةِ أوحشـتْ سـاحاتُهُ وَخَبـتْ مصـابِحُهُ وغـابَ رئيسُـهُ
رمْـسٌ عـلى الـزَّوراءِ لابـنِ محمّـدٍ يُفـدى بيعـربَ كلّهـا مرموسُـهُ
ثـاوٍ بمسـنونِ الصـفائحِ مفـردًا قـدْ ضـمّ منـهُ أمّـةً «ناووسُـهُ»
حضـنتْهُ عاصـمةُ الرشـيدِ رشـيدَها ومضى الرشيدُ وقد حوتْهُ «طوسُهُ»[2]
وطـوى الثـرى «المـأمون» في أبـراده مذْ قدْ طواهُ وإنْ نأت «طرسوسُهُ»[3]
القلـبُ منفطـرٌ عليـهِ سـوادُه والـدّمعُ منطلـقٌ عليـهِ حبيسُـهُ

أَيـنَ الـذي خـاضَ الغمـارَ إلى الـوغى والبـأْسُ محمـرٌّ عليـهِ وطيسُـهُ
صـدمَ الكتائـبَ بالكتائـبِ وانْثنـى بالنّصرِ خفّـاقَ اللّـواء خميسُـهُ
أيـنَ الـذي قـدْ كـانَ أسّـسَ سـيفه وحجـاه ملكًـا محكـمًا تأسيسُـهُ

---

(١) الديوان المخطوط ص(١٥٧-١٥٨). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٦).

(٢) طوس: البلد التي فيها قبر هارون الرشيد.

(٣) طرسوس: بلد فيها قبر المأمون.

أيـنَ الـذي ضـحّى فكـانَ ليعْـرُبٍ ... يــومَ الضــحيّةِ نفسُــه ونفيسُــهُ
مـاضٍ عـلى حـربِ الحيـاةِ وسـلْمِها ... ســيانَ نِعــماهُ لديــهِ وبوسُــهُ
لا يســتكينُ ولا تُفــلُّ ســيوفُهُ ... عنــد القــراع ولا تكــلّ تروسُــهُ
الغــربُ «لندنــهُ» حفتْــهُ متوّجًــا ... ورنــتْ لرونــقِ تاجِــهِ «باريسُــهُ»
و«السّــينُ» عظّمُــه أغــرّ حلاحــلًا ... ومشــى إلى اســتقبالِه «تيميسُــهُ»
عرفتْــهُ «تُبَّــعُ» يعــربٍ سواسَــهُ ... ورأتْــهُ عيســاها المســيحَ قسوسُــهُ

يــا راحــلًا والشرــقُ يحمــلُ ثكْلَــهُ ... ثكــلٌ لعمــرُكَ لا يــراضُ شموسُــهُ
جالـدْتَ عـنْ حـيّ العروبـةِ جاهـدًا ... والحــيُّ ذوبــانُ الفــلاةِ تجوسُــهُ
وأَثــرْتَ في الشــعبِ الحيــاةَ وإنّــما ... لــولاكَ قــدْ ضــاقتْ عليــهِ رموسُــهُ
لــوْ لمْ تــذلّلْ بالسياســةِ صــعبَهُ ... مــا كــانَ منقــادًا إليــكَ تسوسُــهُ
في كــلِّ ناحيــةٍ تَرصَّــدَ ثعلــبٌ ... وأطــلَّ سرحــانٌ عليــهِ لَبُوسُــهُ
وتحفّــز النّمــر الوثــوبُ وهاجَــهُ ... بقــرُ الســوادِ ونالَــه جاموسُــهُ
جشــعُ القــويّ وخسّــةٌ معروفــةٌ ... والشرّــ في جشــع يثــورُ خسيسُــهُ

خَفَــرتْ عهــودَ الرافــدينِ عصــابةٌ ... هــيَ في العــراقِ ورافديــهِ سوْسُــهُ
يــوحي إليهــا بالشرــورِ مهــدّمٌ ... مِنهــا معاوِلُــهُ غــدتْ وفؤوسُــهُ
أَنْعلْــتَ خيلــكَ في اللقــا هامــاتِهِمْ ... وكــذاكَ مــنْ داسَ العهــودَ تدوسُــهُ
هــمْ ألقحوهــا كالبســوسِ بِناقَــةٍ ... ولكــلِّ جيــلٍ نوقُــهُ وبَسُوسُــهُ

عــمَّ الحجــازَ وعــمّ أرضَ تهامــةٍ ... خطــبٌ يهــدّ الرّاســياتِ عبوسُــهُ

الــرّكْنُ والبيــتُ العتيــقُ مــروَّعٌ ... والشــامُ يطغــى وجــدُه ورسيسُــهُ

وعلى (الرياضِ) وحولَ (صنعا) رنّةٌ ... و(الأرزُ) أوحــشَ مِــنْ ربــاه أنيسُــهُ

والنيلُ في صمتِ الصّحارى واجمٌ ... حتــى لــيُلْمسَ حزنُــه ونسيسُــهُ

عــمّانُ لاطمــةُ الجبــينِ حزينــةٌ ... والقــدْسُ ملتــاعُ الحشــا مرسوسُــهُ

وعــلى العــراق مــآتمٌ ســالتْ بِهــا ... حمــمًا مــعَ الــدمع المــراق نفوسُــهُ

في (دجلةٍ) وعلى (الفراتِ) مناحةٌ ... و(الشــطّ) مدمعــه يفــيضُ بَجِيسُــهُ

الشرــقُ أرجــفَ للنعــيّ (سويسَــهُ) ... والغربُ ضجّتْ (للمصابِ سُويسُهُ)[1]

وعلى مآقي الأفْقِ من أثرِ الأسى ... لهــبٌ قــدِ احمــرّتْ عليــه نقوسُــهُ

ويــــحَ الجزيــــرةِ أيّ رزءٍ هزّهــــا ... وأصــابَ مِــنْ أثباجهــا كابوسُــهُ

مِنْ قبلُ قدْ جمعَ الشتاتَ محمدٌ ﷺ ... حتّى غدتْ رُسْل الحضارةِ شوسُهُ

فرســانُ مكّــةَ مــا «هرقــلُ» وجنْــدُهُ ... والــرّومُ مــا «كسرــى» ومــا قابوسُــهُ

في كــلّ قطْــرٍ للحنيفــةِ صــوّةٌ ... تهــدى ونــورٌ لا يخــافُ طموسُــهُ

طلعــتْ طلائِعُــهُ فعلّمــتِ الــورى ... ودعــتْ إلى الحــقّ المبــينِ دروسُــهُ

والآنَ حــينَ رجتْــكَ يعــرُب للعــلى ... وافــترّ مــنْ وجــهِ الزّمــانِ عبوسُــهُ

---

(١) سُوَيْس الشرق في مصر، والتي في الغرب سويسرا، حيث قضى فيصل الأول.

صرعتْــكَ في دارِ الجِهــادِ منيّــةٌ الطــبُّ أخطأهــا وجالينوسُــهُ
ولــوَ انَّــه قبــلَ الفــداءِ فــدتْكَ مِــنْ (عمــرِ العــلا) سرداتُــهُ ورؤوسُــهُ
طــافوا بقــبرِكَ وهْــو قــدسيّ الثّــرى كالبيــتِ أمســى واجبًــا تقديسُــهُ

قــمْ يــا ســليمانُ الحكــيمُ مهنّئًــا العــرشُ قــدْ حشــدتْ لــهُ بلقيسُــهُ
الصــولجانُ الشّــبلُ راحَ يــديرُهُ والتّــاجُ أشرقَ تحتــهُ طاووسُــهُ
«غازي» ورهطُ العرْبِ حولَ لوائِهِ أســدٌ تمنّــع بــالظّبى عرّيسُــهُ
الملــكُ مزدهــرُ الخمائــلِ مشرــقٌ محمــودةٌ أثــمارُهُ وغروسُــهُ[1]

والقصيدة التالية يقول عنها الأستاذ هندية في دراسته: «**في محطّة الحجاز**: وهي قصيدة طويلة، فُقد منها القسم الأكبر، ولم يبقَ منها إلّا أحد عشر بيتًا من مطلعها. وهذه الأبيات لا تحمل تاريخًا معيّنًا، ولكنّها نظمت حتمًا قبل العام (١٩٣٤م)، لأنّ القصيدة التي نظمت بعدها نظمت في هذا العام»[2]، وهذه هي الأبيات:

قِفا في حنايا البهوِ واسْتنْطقا البهوا فكمْ في حنايا البهوِ لوْ ردّ مِنْ شكوى
صــحائفُ تــاريخٍ وآيُ تــلاوةٍ فــما قُرِئــتْ إلَّا وحرّكــتِ الشَّــجْوى
لقــدْ طــافَ فيهــا الحارثــانِ وقيصرٌ وذو التاجِ كسرى والتبابِعَةُ الأذْوى
وكــمْ مِــنْ خميسٍ خَــفَّ مِنْــهُ لِغــارةٍ وعــادَ ومَــا مَــلَّ الإغــارةَ والغــزْوا

---

(١) نقلها الأستاذ هندية في ص(٥٣) من دراسته عن نشرة خاصة أصدرتها مطبعة العرفان في صيدا لبنان، وهي لا تحمل تاريخ نشرها، وهذه النشرة مفقودة.

(٢) الديوان المخطوط ص(١٥٩). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٧).

لَئِنْ خفقتْ مِنْ أجلِكِ اليومَ أنفسٌ فلا غرْوَ إذْ مِنْ قبْلُ كنْتِ لها مهْوى
محاسِنُ حلَّاها الرّبيعُ بوشْيِهِ وأَلْقى عليها مِنْ أصابِعِهِ زهْوا
على كلّ كفٍ منْ ثراكِ حشَاشَةٌ وفي كلِّ شبْرٍ مِنْهُ دمعٌ بِهِ يُرْوى

إذا هبَّ مِنْ نحْوِ الحجازِ مبكّرًا نسيمُ «مِنى» أحيا الأمانيَ والرّجْوا
وفي «عرفاتٍ» كمْ ألًى وعَوارفٍ وكمْ ذكرياتٍ مِنْ «حراءٍ» إلى «رضْوى»
وَمَا قَطْعُهُمْ (خطَّ الحديدِ) بقاطعٍ أواصرَ لمْ تُفْصم عراها ولمْ تلْوَى
أواصرُ مِنْ عهْدِ النّبيِ محمّدٍ وَمِنْ عهْدِ عدنانٍ تمرُّ ولا تَضْوى[1]

وعندما توفّي المرحوم «**نورس أفندي الكيلاني**»[2] في حماة، أقيمت حفلة الأربعين يوم الجمعة ٢٢ حزيران سنة ١٩٣٤م، وقد ألقاها «التقيّ» راثيًا:

حلْلٌ ضوافٍ نسْجهنَّ السنْدسُ لكَ في الجِنانِ معدّةٌ يا «نورسُ»
مِنْ ملبَسِ الأبرارِ، وعْد الله في دارِ الخلودِ ونعْمَ ذاكَ الملبَسُ
قدْ كنْتَ تُكْسى في الحياة بِمِثْلِها مِنْ طِيِّبِ الذكْرِ الجميلِ وتلْبَسُ
وَسِعتْكَ في الدّنيا القلوبُ محبةً وَحَبَتْكَ في صدْقِ الوَلاءِ الأنفُسُ
والآنَ حينَ هجعْتَ في بطْنِ الثرى ثَرَّتْ عليكَ العيْنُ فهْيَ تَبَجَّسُ
قَدْ راعَ أرجاءَ الشآمِ وهزّها نبأٌ لهُ جَزَعَ الصّبورُ الكيّسُ

---

(١) الديوان المخطوط ص(١٥٩). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٧).

(٢) نورس الكيلاني، من مواليد حماة، عمل في التدريس، وكان من مؤسّسي «دار العلوم»، ودرّس فيها، ومات ودفن في حماة.

أَمضى- «أبـو حسـنٍ» كـما قـالوا عـلى ... سمْعِ العدى أم ذاك حدْسٌ يحدَسُ!؟
أَطَـواهُ في الـرّمسِ الـردّى حقًّـا ومـا ... عهْدِي بـذاك الطّـودِ يومًـا يُـرمَسُ!؟
قَـدْ غيّبـوا في الـتّربِ بـدْرَ دُجُنَّـةٍ ... مِنْـهُ وكـانَ بِـهِ يُجـلّى الحنْـدسُ

إِنّي لَيُشْـجيني وفي الـذكرى شـجى ... جَدَثٌ على «العاصي» أطلَّ ومجلِسُ
بعثـا الشّـجونَ إلى النّفـوسِ كلاهُمـا ... ذَا نـاطِقٌ يمْـلي، وهـذا أخـرسُ
عِظـةُ السِّـنينَ هُمـا أقامـا لـيسَ مَـا ... وعـظَ الغـداةَ مـدلّسٌ وموسْـوِسُ
جدثٌ مضَى طـاوي العزيمـةِ أروعًـا ... وثـوى بعقْوتِـه الأبيّ الأشـوَسُ
إِنّي لَيُذكِرْنِيـهِ مِنْـه مقلّـدٌ ... جـمّ المناقـبِ بـالعلا متمـرّسُ
خلـقٌ كـما سـاغَ الـزّلالُ ومـرّة ... ورضى عـن الأقـدارِ إمّـا تعـبسُ
ولـربّما أبـدى نواجـذَهُ لـهُ ... شرّ فمـرّ يريـبُ منـهُ تغطْـرُسُ
السّـحرُ في بِذّاتـه فـإذا جَـرتْ ... في أذنِ سـمْعٍ قلـتَ وحـيٌ يهْمِـسُ
قَـدْ كـانَ نـورسُ في الكـرامِ عشـيرةً ... شَرُفـتْ منابِتُـهُ وطـابَ المغـرسُ
متّـتْ إلى خـير الأصـول فروعُـهُ ... وَنَـماه في العليـاءِ جـدٌّ أقـدَسُ

يـا مجْلِـسَ الرّيحـانِ صَـوّحَ وردُهُ ... وذوى بـه نسـرينُهُ والنّـرجِسُ
كيفَ استحالَ اليـومَ أُنْسـكَ وحشـةً ... وخبـا ضـياؤُكَ واسْـتقلَّ المـؤْنِسُ
غَنَّتْكَ مِـنْ قبلُ العنـادلُ في الضـحى ... وشَـدَتْ بِمغْنـاكَ الحَـمامُ الأُنَّـسُ
واليومَ أنْتَ قذى العيونِ من الأسى ... تَظْـما فترويـكَ الـدموعُ الحُـبَّسُ

يـا ميتًـا مـا مـاتَ خالـدُ ذكْـرِهِ ... في المكرمـاتِ تُـذاعُ عنْـهُ وتُقْـبَسُ
كنْـتَ الـثمال لِمُعْتـفٍ، والمُرتجـى ... عنْـدَ الخطـوبِ لكـلّ أمْـرٍ يشـمسُ
مَا ارتـدّ عنكَ أخـو خصاصٍ خائبًا ... ومؤمّـلُ المعـروفِ لمْ يـكُ يَيْـئَسُ
قـدْ عشـتَ فينـا كالرّيـاضِ أنيقـةً ... متـعٌ كـما تهـوى النفـوسُ ومـأنسُ
وصَـحِبْتَنَا دهـرًا كأزْهـارِ الرُّبـى ... رَقّـتْ مجانيهـا وَرَقّ الملْمَـسُ
حتّـى ظعنْـتَ وكـلُّ حـيٍّ ظـاعنٌ ... وتحـولُ نعمـى في الأنـامِ وأبـؤُسُ
والـنّفْسُ تُظمِئُهـا الحيـاةُ إلى الـرّدى ... حتّـى تُـدارَ مِـنَ المنيّـةِ أكـؤُسُ
مـا زال يخـتَصُّ الكـرامَ بِلُؤْمِـهِ ... دَهـرٌ يضـنُّ عـلى الكـرامِ وينفسُ
لا خـيرَ في دُنْيـا تطـاول شَرّهـا ... مـا إنْ بهـا للصَّـالحينَ مُعَـرَّسُ

قـدْ قُلْـتَ للركـبِ العجـالِ تفلّسـوا ... حتّـى إذا جئـتمْ «حمـاةَ» فَعرّسـوا
أَهـدُوا التّحيـةَ قـبرَ «نـورسَ» ربّـما ... قَبْـلَ التّحيـةِ مِـنْ محـبّ مـرمَسُ
الـرّوحُ والريحـانُ يعبـقُ حولـهُ ... وَالـورْد في أرجائِـهِ يتـنفَّسُ
ولقـدْ تقـلّ عـلى النّـوى تَسْـليمتي ... لوْ لمْ تكنْ عـنْ غـيرِ «نـورس» تحبسُ

«دارُ العلـومِ» وأَنْـتَ مِـنْ أركانهـا ... للهِ مَـا قـدْ شـيّدوهُ وأسّسـوا
وأَحـقُّ دارٍ أَنْ يُقـالَ رفيعـة ... دارٌ عـلى تقـوى الإلـهِ تؤسَّـسُ
رَفعـتْ يـداكَ لهـا المنـارَ ولمْ تـزلْ ... آثـارُكَ الغـرّاءُ فيهـا تُلمـسُ

فليبْـكِ علـمٌ قـدْ سـهرْتَ لنشْرِـهِ ولتبْـكِ مدرسـةٌ ويبْـكِ مُـدرِّسُ[1]

وفي ٢٦ من شهر رمضان عام ١٣٥٣هـ الموافق لـ٢ كانون الثاني من العام ١٩٣٥م مدح «التقيّ» في هذه الأبيات «**حسني البرازي**»[2] قائلًا:

أيّهـا السـيّدُ الكبـيرُ بِنفْسـهْ وَحِجـاهُ وفضْـلِهِ وبكَيْسِـهْ
عَرفتْـكَ العُـلا هُمامًـا كـريمًا والعـلا تَعْـرِفُ ابْنهـا حَـالَ جَسِّـهْ
أيُّ ضـيْرٍ عليـكَ في مـا أتـاهُ غافـلٌ قـادَهُ الغَـرورُ لِتعْسِـهْ
أَيْئَسَـتْهُ ظنونُـهُ منـكَ حَتّـى دفعتْـهُ إليـكَ شـدّةٌ يأسِـهْ
ربّـما اسْتنْسَرَ البغـاثُ وأدمـى مخلبَ اللّيـثِ في الوجارِ ابْـنَ عرْسِهْ
رابنـا أمـرُهُ ومـا قـدْ جَنـاهُ وَفَزعْنـا إليـكَ مِـنْ سـوءِ مَسِّـهْ

لِيْتَ شعْري وأنتَ «حسْني» المعالي و«البرازي» بأصْـلِهِ وبجنْسِـهْ
أَتُخَـلّي الأديـبَ يجـزى ببخْسِـهْ أمْ تعـينُ الأديـبَ في كشْـفِ بَخْسِـهْ
حَبَسُـوهُ عـنْ حقِّـهِ وأطـالوا كيف ترضى علاكَ عنْ طولِ حبْسِهْ
مـنْ عـذيري مِـنَ الليـالي حبـالى ونهـارٍ في شرِّهِ مثْـل أمْسـهْ
لـكَ فينـا بِكـلّ يـوْمٍ أيـادٍ طالعـات بأفْقِـهِ مـعَ شمْسِـهْ

---

(١) الديوان المخطوط ص(١٦٠). دراسة الأستاذ هندية ص(٥٥).

(٢) حسني البرازي: كان رئيس وزراء. وقد رفع إليه التقيّ هذه الأبيات وبثه فيها شكواه لظلمٍ أصابه، ولكنا لم نستطع أن نعرف ما الذي أصابه حتى حبس عن حقّه، ولا الحقّ الذي حبس عنه. والجدير بالذكر أنّ البرازي كان صديق «التقيّ» وتخرج معه من كلية الحقوق.

والكـــريمُ النبيـــلَ يُزهـــى بفعـــلٍ في الـــورى لا بِجـــزّه أو دِمقْسِـــهْ

قـــالَ مَـــنْ ســـاءَ ظـــنّهمْ بِعـــلاهُ ربّـــما يُخـــدع الـــوزير بحدْسِـــهْ
لا يغرّنْـــكَ منْـــهُ عطـــفٌ تـــراهُ وابتســـامٌ فالحـــالُ تقضي بِعكْسِـــهْ
كـــذَّبَ اللهُ كـــلّ مـــا زوّروه وتعـــالى الـــوزيرُ في صِـــدْقِ حِسّـــهْ[1]

ونظم في الجَمال هذين البيتين عام ١٩٣٥م:

رِؤيةُ الحسْنِ لا وصولَ إليـه أَلَمْ يُـورِثُ النّفـوسَ خبـالا
حَجّبـوه، وإنْ أبيْـتمْ حِجابًـا فأبيحوا لِلنَّاظِرينَ الجمالا[2]

وفي هذا العام نشر «التقيّ» قصيدة «**على رأس العين**» لذكرى بعلبك في دورية «الإنسانية» وهي غير موجودة في ديوانه المطبوع:

أقـــولُ لِلرّكـــبِ وقَـــدْ غلّســـوا وانطلقـوا مـنْ بعـدِ طـولِ انْحباسْ
هـــذي ربـــوعُ «بعلبـــكَّ» انزلـــوا عـــدا ربـــوعَ «بعلبـــكَّ» انـــدراسْ
هـل مثْـلُ «رأس العـين» مـنْ منـزلٍ وهـــلْ بواديهـــا سِـــواهُ يُقـــاسْ
طبيعـــةٌ رقراقـــةُ المجتَنـــى وصـــفْحة فيهـــا بـــديعُ الجنـــاسْ
مـــا بـــيْنَ واديهـــا إلى ســـفحها مبـــاهجُ ترتـــعُ فيهـــا الحـــواسْ
رُبَّ نَســـيمٍ في الرّبّـــى مـــنْعشٍ هـــبّ وسلســـالٍ تـــلالا كَـــمَاسْ

---

(١) الديوان المخطوط ص(١٦٢). دراسة الأستاذ هندية ص(٥٢).

(٢) الديوان المخطوط ص(١٦٣). دراسة الأستاذ هندية ص(٦١).

وزهـــــراتٍ مِـــــنْ رياحينهـــــا يحْلـــو عـــلى المـــاءِ لهـــنّ انعكـــاسْ
كـــــأنّما الأكـــــمامُ إذْ فُتّقـــــتْ نـــــواظِرُ ترمُقهـــــا بـــــاحتراسْ
يَـــا حبّـــذا المـــرْجُ وصَفْصـــافُهُ والحـــور في أرجائِـــهِ حـــينَ مـــاسْ
وحَبّـــــذا النّســـــيمُ معْتلّـــــةً أنفاسُـــه جـــاز الـــرّوابي وجـــاسْ
وحبّـــــذا الغـــــدير صَـــــفّاقةً أمواهُـــهُ تـــرْفضُّ بعـــد انبجـــاسْ[1]

ونجد في الديوان المخطوط أيضًا بعض المقطوعات بفنون الشعر، والتي كانت سائدة في عصور الانحطاط.

فهذه أبيات شطّرها لعنترة وهذا **التشطير** الوحيد في ديوانه:

(لا تـذْكري مهْـري ومـا أطْعمتُـهُ) فلَـكِ الهنـا في مطعـمٍ أوْ مشـربِ
وإذا بششْـــتُ لـــهُ فـــلا تَتَلـــوّمي (فيكون جلدكِ مثلَ جلدِ الأجربِ)
(إنّ الرّجـالَ لهـمْ إليـكِ وسـيلةٌ) فـــإذا أصـــبْتِ تـــدهّني وتطيّبـــي
شَـــتّانَ مـــا بينـــي وبينَـــكِ إنّهـــمْ (إنْ يأخـذوكِ تكحّـلي وتخضَّـبي)
(وأنـا امـرؤٌ إنْ يأخـذوني عُنْـوةً) أُحمَلْ على حسكِ الهوانِ وأُسْحَبِ
أتجـرّعُ المـرّ الـذُّعافَ وإنْ أَحُـدْ (أُقـرنْ إلى قـدِّ الرِكـابِ وأُجْنَـبِ)
(ويكـونُ مركَبـكِ القعـودُ ورحلُـهُ) وأنـا أقـاسي كـلَّ هـوْلٍ مرْعِـبِ
تغـدو الحشـيّةُ والمطـى لـكِ مركبًـا (وابْنُ النّعامةِ عندَ ذلكَ مرْكَبي)[2]

(١) دورية «الإنسانية» العدد الثاني من السنة الخامسة الصادر في ربيع الثاني عام ١٣٥٤هـ الموافق لشهر تموز من العام (١٩٣٥م). ص(٧٩).

(٢) الديوان المخطوط ص(١٢). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٢).

أما عن **التأريخ بالشعر** فنجد تأريخًا لوفاة والدته التي توفّيتْ ليلة الثلاثاء ٩ رجب سنة ١٣٤٥هـ الموافق لـ١٤ كانون الثاني من العام (١٩٢٧م) وهذه هي الأبيات:

يـا قـبرُ حلّـتْ فيـكَ طـاهرةٌ ... قــدْ زانَهــا تقــوى وإيــمانُ
مِـنْ «آلِ معتـوقٍ» «فريـدةُ» عِنْـ ... ـــدّ الله قـدْ أمْسـى لهـا شـانُ
حلّـتْ جِنـانَ الخلْـدِ قـدْ أرخـ ... ـتُ (يعمُّهـا عفْـوٌ ورضْـوانُ)[1]

١٢٦ + ١٥٦ + ١٠٦٣ = ١٣٤٥

كما صنع تاريخين في وفاة والده وقد توفّي يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء لـ٢١ شعبان سنة ١٣٤٥هـ الموافق لـ٢٣ شباط سنة (١٩٢٧م) وهما:

١- هذا ضريحُ أَبي أديب سعيد مِنْ ... آلِ التقـيِّ مضى- إلى ربٍّ غَفُـورْ
قـدْ غـابَ فيـهِ وهـو بـدرٌ كامـلٌ ... وما مثْلُهُ يومًـا شـموسٌ أوْ بُـدورْ
مُـذْ حلَّـهُ أرخْتُـهُ (بالخلـدِ أَمْـ ... ـسى في جِنانٍ بينَ ولدانٍ وحُور)[2]

٦٦٥ + ١١١ +٩٠+١٠٤+٦٢+ ٩١ + ٢٢٢= ١٣٤٥

٢- هذا ضرِيحُ السعيدِ التقـ ... ـــيِّ فاخْشـــعْ لدنْـــهُ
القـــــبرُ أيّ جـــــلالٍ ... قـدْ حجّبـوا فيـهِ منْـهُ
طُـــويْ بـــهِ للمعـــالي ... سرٌّ عظـــيمٌ وكنْـــهُ

(١) الديوان المخطوط ص(٩٥). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٢).

(٢) الديوان المخطوط ص(٩٥). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٣).

مضى ـ فأرختُ (حالًا قدْ رضيَ اللهُ عنْهُ)[1]

١٣٤٥ = ١٢٥+٦٦+١٠١٠+١٠٤ + ٤٠

وصنع تاريخًا في وفاة «توفيق عسيران»[2] وكانت وفاته في ٢ محرم الحرام سنة ١٣٤٦هـ، وهو:

قِفْ بالضّريحِ وحيِّهِ طابَ الضّريحُ وَمَنْ يضمُّهْ
قَدْ ضَمَّ حُرًّا ماجدًا المجدُ والعلياءُ هَمُّهْ
«توفيق» بدرُ بني عُسْـ ـيرانَ الأتمُّ فحالَ تَمُّهْ
قدْ راحَ يُجْبى أرّخوا (عفوًا ورضوانًا يَعمُّهْ)[3]

١٣٤٦ = ١٢٥ + ١٠٦٤ +١٥٧

ووهب الله صديقه «أديب الرّوماني»[4] بنتًا فكان لهذه المناسبة تاريخان يوافقان العام ١٣٥٣هـ:

١- حبا اللهُ بِالبكْرِ الأديبَ وفاطمًا فكانت مِنَ الخلَّاقِ نُعْمى أَتَمّها
كَسَاهَا الربيعُ الحُسْنَ إذ أقْبَلا مَعًا وَأَلْقَى عليها البدرُ في التمِّ تمّها
أَتتْ كالمَها عينًا وجِيْدًا فسُمِّيتْ (مَها) أَشْبهتْ أباها وأُمَّها[5]

(١) الديوان المخطوط ص(٩٥). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٣).

(٢) توفيق عسيران: ابن عمة الشاعر وأخو زوجته، كان معتمد دولة إيران في صيدا.

(٣) الديوان المخطوط ص(١٣٠). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٣).

(٤) أديب الروماني: كان صديق الشاعر من مواليد دمشق وكان مدير مصرف الرافدين فيها.

(٥) هكذا ورد البيت في دراسة الأستاذ هندية وفيه نقص ولعله كان: «مها أشبهتْ في ذا أباها وأمّها».

وَمِنْ أجلِ ذَا تاريخُها (هَبّ معلنًا كأَنَّ أَباها الظَّبْيَ أَوْ أُمَّها المَها)[1]

٧ +١٩١+ ٧١ + ١٠ + ٩٤٣ +٧+ ٤٧ + ٧٧ = ١٣٥٣

٢- حَبا اللهُ فاطمةً والأديبَ بِبِكرٍ قدِ انتظراها مَليَّا

أقرّ بها اللهُ عينيهِمَا وأعطى الصَّبيّةَ بعدُ صبيّا

تُربّى بظلِّهما وتعيشُ على الدّهْرِ عيْشًا رغيدًا هَنيَّا

أتتْ كمها العيْنِ حُسْنًا وقَدْ تَسمّتْ (مها) لِتبزّ السّميَّا

إذا ما رأيت سنا وجْهِها وقد أرخوه (رأيت الثريَّا)[2]

٦١١ + ٧٤٢ = ١٣٥٣

(١) الديوان المخطوط ص(١٣٠). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٣).

(٢) الديوان المخطوط ص(١٣٠). دراسة الأستاذ هندية ص(٦٤).

الفصل الثالث
التقي ناثراً

«يصدق على «التقيّ» القول المعروف: «إذا أردت أن تكون عالـمًا فاقصد إلى كلّ فنّ من فنون العلم، أما إذا أردت أن تكون أديبًا فخذ من كلّ علمٍ حسنه».

وقد اطلع أديبنا «التقيّ» على أغلب علوم عصره النظرية وبعض العلوم العملية بواسطة أصدقائه المختلفي المشارب والمتنوعي المهن، فقد درس التاريخ والجغرافية وأصول التربية كما درس الحساب والميكانيك واطلع على بعض علم الطب، فإذا ما بدأ بالتأليف طرق علومًا متعدّدة وموضوعات شتى قد يصعب تلاقيها في كاتب واحد.

وقد هيّأ الله لي – من خلال مكتبة «التقيّ» التي أهداها ذووهُ إلى الجمعية المحسنية بدمشق – أن أقع على معظم مؤلفاته إلا المفقود منها الذي لا أثر له، وذلك بعد سؤال من بقي من أولاده وأولاد أصدقائه وأعلمِ الناس بأحواله. وهذه هي مرتّبةً بحسب سنوات طباعتها.

أولًا: الكتب

١. مناهج التربية والتعليم

وهو كتاب يبحث في أصول التربية والتعليم، عَرَّبه «التقيّ» بتكليف من مدير المعارف السورية السيد عمر فرحات الجزائري بهدف «وضع كتاب يبيّن بعض ما ينبغي أن يراعى في تربية الأحداث وتعليمهم على النهج السويّ ليكون دليلًا للمهذّبين والمعلمين والمشتغلين بتعليم الأحداث وتهذيبهم فجاء كتابنا المسمى بمناهج التربية

والتعليم بفضل الله ضامنًا للمطلوب كافلًا بالمقصود»[1].

ولكن «التقيّ» الذي ذكر على غلاف كتابه: «عرّبه بتصرّف وبعض زيادات أديب التقي البغدادي» لم يذكر اللغة التي عرّبه منها، ولكن التصرّف كبير يظهر من الأمثلة ذات الروح الإسلامية والعربية التي يستشهد بها على نظرياته. بل إنه أضاف إلى الكتاب فصولًا كاملة كفصل «مكانة العلم في الحياة».

يقع الكتاب في (١٥٢) صفحة قياسها (٢٠×١٤سم). وقد قسم الكتاب إلى قسمين: «قسم التربية، وقسم التعليم. وقدمنا الأول لمكانته، ورتّبناه على ثمانية فصول، كما رتّبنا الثاني على أربعة... وذيلناه ببعض مباحث أخلاقية اجتماعية لتتمّ الفائدة».

٢. سِيَر التاريخ الإسلامي

كتاب مدرسيّ أيضًا توجد منه نسخةٌ في المكتبة المحسنية، ناقصةٌ وبدون غلاف، بقي منها فقط ثمانون صفحة قياس (١٨×١٣سم). طبع هذا الكتاب في مطبعة الترقّي عام ١٣٤٠هـ، ويحوي الكتابُ موجزًا لِسِيَر (٢٧) شخصية بدءًا من سيرةِ النبي ﷺ، وفي الفصل (٢٨) عنوان «المقايسة بين أعمال هؤلاء وفتوحاتهم»، وهو ناقصٌ كما ذكر.

٣. التاريخ العام

كتابٌ مدرسيّ يقع في جزأين من القطع المتوسط (٢٠×١٤سم)، يتناول الجزء الأول منه القرون الأولى والوسطى حتى فترة المسلمين ويقع في (١٨٤) صفحة،

---

(١) كان التقيّ يشغل منصب نائب مدير المعارف، ولذلك ورد على غلاف الكتاب: «إدارة معارف سورية». والعبارة منقولة من المقدمة ص(٣)، الطبعة الأولى ١٣٣٧هـ، مطبعة المفيد، دمشق.

ويتناول الجزء الثاني القرون الأخيرة والعصر الحاضر ويقع في (١٩٢) صفحة. وكان هذا الكتاب مقررًا للتدريس رسميًّا في مدارس سورية والعراق والحجاز لبرنامج المدارس الأميرية. وقد طبع الجزء الأول منه في مطبعة الترقي عام (١٣٤١هـ) في دمشق، وطبع الجزء الثاني منه في مطبعة العرفان في صيدا عام (١٣٤٢هـ). وقد ذكر لنا «الدكتور لبيب وجيه بيضون» ابن صديقه أن هذا الكتاب قد طبع أربع مرّات، وأن الطبعة الأخيرة منه كانت في مطبعة والده المسمّاة «ابن زيدون» بدمشق، وكانت في العام ١٩٢٨م[١].

كما ذكر لنا أن «التقيّ» قد اعتمد على مصادر عربية قديمة وحديثة في كتابه هذا، وكذلك مراجع باللغة التركية والفرنسية والإنكليزية. وقد بيَّنها في الكتاب المذكور تحت عنوان: الكتب التي أخذنا عنها[٢].

وفي مقابلة مع الدكتور لبيب بيضون، ذكر لنا أن «التقيّ» قدّم كتابه هذا إلى «فارس بك الخوري» وذلك في العام ١٩٣٠م وأنّه وضع هذين البيتين في التقديم:

سفرٌ من التاريخ جاءَ كأنَّهُ طِرفٌ أعدّوُه ليوم تنافُسِ

(١) الدكتور لبيب بيضون من مواليد دمشق عام (١٩٣٨م) درس الفيزياء ودرّسها في جامعة دمشق وله مؤلفات كثيرة، وقد ترجم لكثير من رجالات حي الأمين في كتابه «حياة وذكريات» الذي يقع في ثلاثة أجزاء، ومن جملة الذين ترجم لهم صديق والده شاعرنا «التقي». وكان هذا من حديث ومقابلة جرت معه في دمشق.

(٢) النسخة الموجودة في المكتبة المحسنية برقم ٢٣/ ٥٥/ ٣١٢٧، وهي الطبعة الأولى في مطبعة العرفان في صيدا (١٣٤٢هـ)، وليس فيها ثبت بالمراجع التي أخذ عنها كتابه.

أهديتُــهُ نِضــوَ الوقــائعِ «فارسًــا» وكـذا النجيـبُ هديـةٌ للفـارسِ[1]

٤. سِيَر العظماء «الجزء الأول»

وهو كتيّب يتناول تراجم وسير بعض الشخصيات العربية وعددها (٣٣)، وقد بدأها من سيرة النبي محمد ﷺ، ثم الخلفاء الراشدين، ثم بعض الصحابة والتابعين، ثم بعض خلفاء الأمويين والعباسيين، ثم بعض المماليك، ثم السلطان محمد الفاتح، ثم عاد لذكر بعض رجالات الجاهلية، كلّ ذلك باختصار، حيث بلغت صفحاته (١١٢) من القطع (١٨×١٤).

طُبع هذا الجزء في مطبعة العرفان في صيدا عام ١٣٤٥هـ-١٩٢٦م، ويبدو أنّه ألحقه بجزءٍ ثانٍ ظلّ مخطوطًا ولم يُطبع، ثم فُقد مع كتب أخرى[2].

---

(١) فارس الخوري (١٨٧٣-١٩٦٢م) من مواليد الكفير/ حاصبيّا/ تعلّم بها، وهو من رجالات السياسة والأدب، درس في الجامعة الأميركية ببيروت وانتخب نائبًا عن دمشق في مجلس المبعوثان ثم احترف المحاماة (تخرج من جامعة دمشق عام ١٩٣٠ مع شاعرنا التقيّ). انتُخب عضوًا في المجمع العلمي العربي عام ١٩١٩، شغل عدة مناصب: وزيرًا للمالية، ثم وزيرًا للمعارف، ثم رئيسًا لمجلس النواب، فرئيسًا للوزارة. مثّل سورية في الأمم المتحدة عدة مرات، وله مؤلفات كثيرة. الأعلام ج٥ ص(١٢٨)، مجلة المجمع العلمي العربي ٣٧: ٢٩١.

(٢) يبدو ممّا جاء في مقدمة الجزء الأول ص(٢): «أنت يا بني رجل الغد... وجديرٌ بك أن تعرف عظماء أمتك من العرب، كما يجب أن تعرف العظماء من غير أمتك أيضًا، وتنظر في أخبار هؤلاء فتجتهد لتحذو حذوهم...» فلعلّ الجزء الثاني الذي كان مخطوطًا ولم يُطبع وفُقد كان يحتوي على سير العظماء من غير العرب.

٥. الطُّرَف

كتابٌ مدرسيٌّ جاء في ستة أجزاء، اشترك في جمعه وشرحه أديبنا التقيّ مع جماعة من المدرسين وهم: أبو الخير القواس، وسليم الجندي، وعلي السراج. وقد جاء على الغلاف ما يلي:

«قرّرت وزارة معارف الجمهورية السورية الجليلة تدريسه في المدارس الثانوية» وذكر تحت الجزء الخامس عبارة: «الصف الخامس».

وقد جمعوا أخبارهم وطرفهم من أمهات الكتب التراثية، كالأغاني، والعقد الفريد، وبلوغ الأرب، ووفيات الأعيان وغيرها؛ وليس هناك دلالة على اختيار أي منهم للخبر أو الموضوع المختار.

طبع هذا الكتاب عام ١٣٥٤هـ-١٩٣٥م في مطبعة «ابن زيدون» بدمشق بقياس (٢٤×١٧سم) وعدد صفحاتها بين (١٥٠-١٨٥) لكل جزء.

٦. الشريف الرضي: عصره، حياته، منازعه، أدبه

طُبع هذا الكتاب بعد وفاة «التقيّ» بزمنٍ كبير في مطبعة كرم عام ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، وهو الكتاب الذي قد أعدّه لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من الجامعة المصرية كما مر معنا سابقًا.

يعتبر هذا الكتاب درّته النفيسة وتحفته الأثيرة، بثَّ فيه روحه وفكره وكلّ كيانه[1]

---

(١) يقول «التقيّ» في تقديم كتابه وإهدائه للشريف الرضي ص(٥): «أيها الشريف الرضيّ استلهمتُ روحي من روحك، واستقى فكري وأدبي من فكرك وأدبك، ورافقتني في مراحل عدّة من حياتي...

وأنهاه قبل عام تقريبًا من وفاته كما أرّخ هو: دمشق غرة رجب سنة ١٣٦٣هـ/ ٢٠ حزيران سنة ١٩٤٤م.

٧. الكتب المفقودة

في عام ١٩٣٢م-١٣٥٠هـ عندما طبع «التقيّ» ديوانه في مطبعة ابن زيدون، وضع على غلافه الأخير قائمة بأسماء كتبه تحت عنوانين: الأول: الكتب المطبوعة، والثاني: الكتب غير المطبوعة.

فأما المطبوعة فقد عددنا منها ستة إضافة إلى الديوان وبقي منها ما يلي:

١- نهضة اليابان السياسية والاجتماعية.

٢- مصطفى كمال باشا في الأناضول.

٣- غرائب العادات.

٤- المسيح الهندي.

وهذه الكتب مفقودة منذ زمن طويل، ولكن من محاسن الصدف ومسعدات الأقدار أن «التقيّ» ربّما يكون قد بثّ في مقالاته المنشورة التي سيأتي الحديث عنها بعضًا من هذه الكتب كما يبدو من عنواناتها.

أما الكتب غير المطبوعة التي وردت على غلاف الديوان فهي:

١- تاريخ العصر الحاضر.

٢- تاريخ العهد النبوي والخلفاء الراشدين.

فإليك أيها السيد الأبيّ والشريف الرضيّ أقدّم هذا السفر».

٣- الإمام علي بن أبي طالب.

٤- بسمارك بطل الاتحاد الألماني.

٥- الجغرافية الاقتصادية.

٦- تاريخ الختان ومحسناته.

٧- سير العظماء (الجزء الثاني).

٨- مئتا مسألة في الحساب النظري والجبر والمثلثات والميكانيك والفيزيك.

٩- مجموعة مقالاته الاجتماعية والأدبية والتاريخية.

١٠- شعر الخيام وفلسفته.

١١- رواية الوجيه المتحضّر (*Bourgeois gentilhomme*) وهي رواية انتقادية هزلية لمؤلفها موليير (Molière).

وحول هذا الموضوع يحدّثنا ابنه حازم[١]، فيقول:

«بعض هذه الكتب لم يأخذ شكله النهائي، وربّما بدأ ببعضها ولم يبدأ بالبعض الآخر، بل وضع أفكارًا فقط حتى إذا انصرف إلى الدكتوراه تركها ولم يعمل بها، ثم فُقد الكثير منها».

ولحسن الحظ فإن الأستاذ محمد هندية في دراسته المعدّة عن أديبنا التقيّ قد وصف بعضًا من المخطوطات التي وجدها فأسهب في ذلك، وإننا إذ نشير إلى هذا الوصف نعوض بعضًا من عدم وجودها بين أيدينا اليوم، ونبدأ بمخطوط كتاب عن أمير

(١) من حديث مع ابنه حازم.

المؤمنين علي بن أبي طالب بعنوان «أبو تراب»[1]:

«هو كتاب يشتمل على ترجمة حياة أمير المؤمنين، ووحي رسول رب العالمين، باب المدينة، ومعدن الحكمة، وشجرة النبوّة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بدأ المؤلف في كتابته في أواخر جمادى الثانية سنة ١٣٣٦هـ، وكان الفراغ من تسويده صباح الأربعاء الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٣٦هـ في دمشق المحميّة.

جاء المخطوط في (١٨٨) صفحة من القطع المتوسط على ورق أسمر، يبدأ بورقة فارغة تليها ورقة أخرى تحمل العنوان «أبو تراب» وقد حذفه المؤلف ليضع محلّه: «الفاروق الأعظم»، ويلي ذلك مضمون الكتاب وسنة تأليفه ثم جاء على ظهر الورقة مؤلفات «التقيّ» وقد بلغت أربعة عشر مؤلفًا تليها ترجمة مختصرة عن المؤلف بقلمه.

يتألف الكتاب من مقدّمة وستّة أبواب وخاتمة، أما المقدّمة وقد أخذت الصفحتين الأوليين فيبيّن فيها الداعي الذي حدا به إلى تأليف هذا الكتاب، ثم يلي ذلك استطراد بسيط في ضرورة تمحيص الحقائق، وضرورة الاجتهاد، وفضل علي وأبيه على الإسلام، وشيء عن الشريعة الإسلامية.

ثمّ يبدأ الباب الأول ص(١٠-٣٠)، ويبحث في نسب علي، ويأتي الباب الثاني ص(٣١-٤٦) ويبحث في نشأة علي، ويتضمّن الباب الثالث ص(٤٦-٧٠) الكلام على حروب عليّ وغزواته مع النبي ﷺ. أما الباب الرابع ص(٧١-١٤٧) فيبحث في خلافة

(١) تردّد «التقيّ» في تسمية الكتاب، ويبدو أنّه استقرّ على تسميته في العام ١٣٥٠هـ على «الإمام علي بن أبي طالب»، كما ورد على غلاف ديوانه المطبوع ذلك العام.

عليّ وحسن سياسته، ويلي ذلك الباب الخامس ص(١٤٨-١٦٤) فيبحث في أخلاق عليّ وصفاته. أما الباب الأخير وهو الباب السادس ص(١٦٥-١٧٣) فيبحث في رجال عليّ، وتلي هذه الأبواب السنة الخاتمة وهي مخصّصة لبحث الجور الذي نزل في أهل البيت، وينهي «التقيّ» كتابه بتخميس الشاعر عبد الباقي الفاروقي على الهمزية المشهورة للشيخ صالح التميمي في الصفحات (١٨١-١٨٥). وفي الصفحتين التاليتين يأتي فهرست الكتاب. وفي الصفحة (١٨٨) بيان بأسماء الكتب التي اعتمد عليها في تأليفه»[1].

وقد ذكر في دراسته لاحقًا نصًّا من هذا المخطوط من الصفحة (٦٤) منه تتناول إحدى غزوات علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا نصها:

«غزاة بني المصطلق:

وكان الفتح في هذه الغزاة له عليه السلام بعد أن أصيب يومئذ أناسٌ من بني عبد المطلب، فقَتَل عليٌّ عليه السلام رجلين من القوم هما مالك وابنه، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم سبيًا كثيرًا وقسّمه بين المسلمين. وكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أصاب يومئذ في السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فجاء أبوها فقال: يا رسول الله ابنتي كريمة لا تسبى، فأمره أن يخيّرها فاختارت الله ورسوله، فتزوّجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

---

(١) من دراسة الأستاذ محمد هندية ص(٢١)، دراسة جامعية أعدّت عام ١٩٥٨-١٩٥٩م.

(٢) العبارة نقلها الأستاذ محمد هندية عن المخطوط في حديثه عن نثر «التقيّ» حيث اختارها نموذجًا للنصّ الواضح الذي يستهدف المعنى بأسلوب واضح وكلمات بسيطة وتراكيب سهلة. وهي في الصفحة (٤٩) من الدراسة.

وكذلك فقد أسهب الأستاذ هندية في وصف مخطوط كتاب «الشريف الرضيّ» الذي طبع فيما بعد لأهميته كما يقول، فكان وصفه دقيقًا وأنهى حديثه بما نصّه:

«هذا هو عرض مخطوط «الشريف الرضيّ»، وهو من أهمّ مؤلفات «التقيّ» على الإطلاق. على أن العلامة «سليمان ظاهر»[1] لاحظ بعد قراءته المخطوط أنّ المؤلّف لم يستوفِ دراسة أدب الرضيّ «ولعل في نفسه نزوعًا إلى الاستزادة من هذا الفصل القيّم بل وفصول أخرى ربما كانت لها علاقتها بدراسته الفذّة لكلّ ما قصد إليه «الرضيّ» وما طرق أبوابه من موضوعات الشعر مما كان فيه وحيد عصره بل العصور كلّها عند من أنصفه»[2]. لقد حالت المنيّة بينه وبين إتمام دراسته عن «الرضيّ»، وهي ملاحظة لها قيمتها، يشعر بها بوضوح كل من قرأ المخطوط».

ثانيًا: المقالات

شارك التقيّ في معظم النشرات والدوريات التي كانت تصدر في ذلك الأوان، فقد نشر في «جريدة الأيّام»، وكتب عددًا لا بأس به من المقالات في دورية «العرفان»[3]

---

(١) الشيخ سليمان ظاهر عالم وأديب كتب في عدة موضوعات، عضو المجمع العلمي العربي. وقد كتب مقالات كثيرة في دورية «العرفان» التي سيأتي الحديث عنها بعد قليل.

(٢) العبارة منقولة من دراسة الأستاذ هندية ص(٢٣). وعند العودة إلى الكتاب المطبوع وإلى تعليق الشيخ الظاهر لا نجد العبارة بنصّها.

(٣) مجلة «العرفان» كان يصدرها الشيخ أحمد عارف الزين في صيدا. بدأت بالصدور عام ١٩٠٩م، واستمرت حتى التسعينيات من القرن الماضي، وكان يكتب بها مثقفو تلك الفترة كالشيخ أحمد رضا =

التي كانت تصدر في صيدا، وكان أول مقال له فيها بعنوان: «اليابان واليابانيون» نشره في الجزء الثالث والرابع من المجلد السادس اللذين صدرا في جمادى الأولى والثانية لسنة ١٣٣٩هـ الموافق لشهرَي شباط وآذار من العام ١٩٢١م[١].

أما آخر مقال نشره فكان في العدد الأول والثاني من المجلد الثلاثين الذي صدر في المحرم وصفر من سنة ١٣٥٩هـ الموافق لشهري شباط وآذار من العام ١٩٤٠م وهو بعنوان: «في دكاكين الحلاقين... الحكمة الضالّة»[٢].

وأمّا في مجلة «الإنسانية» التي أصدرها صديق شاعرنا «التقيّ» الأديب «وجيه بيضون» شهريًّا من مطبعته بدمشق المسماة «ابن زيدون»، فقد نشر التقي مقالًا عنوانه «الطب والإنسانية» في العدد الثالث من أعداد السنة الأولى الصادر في شهر المحرم للعام ١٣٥٠هـ الموافق لحزيران من العام ١٩٣١م[٣].

= والسيد محسن الأمين والشيخ سليمان ظاهر والدكتور أسعد الحكيم والأستاذ أديب فرحات والشيخ حسن حوماني وكثيرون إضافة إلى أديب التقيّ.

(١) من جملة المقالات التي نشرها في مجلة «العرفان» أيضًا، مقال بعنوان «السينما الناطقة». في ملاحق الكتاب صورة عنه.

(٢) كانت مشاركته الأولى بقصيدة «الدين والعلم» ص(٣٦٧) من ج٩ من المجلد الخامس (١٩١٤م).

(٣) حدثنا الدكتور لبيب وجيه بيضون عن هذه المجلة في مقابلة معه قائلًا: هي مجلة صدرت ابتداءً من شهر نيسان للعام (١٩٣١م) بواقع عدد واحد شهريًّا، واستمر صدورها ست سنوات حتى العدد (١١ و١٢) من السنة السادسة، الذي كان لشهرَي حزيران وتموز من العام (١٩٣٧م) وكانت تحوي مقالات وترجمات عدّة لكتاب من ذلك الزمان، وقد أشار الدكتور لبيب إليها في كتابه «حياة وذكريات».

هذا إضافة إلى مقال ثانٍ بعنوان: «حديث في قطار» وردت الإشارة إليه عند الحديث عن قيم «التقيّ»[1].

وبالعودة إلى مقالاته المبثوثة في «العرفان» نجد عناوين تنمّ على أنّها إمّا أجزاء من بعض الكتب المفقودة التي أشرنا إليها، أو هي نواة لدراسة مستفيضة أعدّها التقيّ لاحقًا في كتاب مستقل[2].

وفي مجلة المجمع العلمي العربي نشر «التقيّ» أربعة مقالات نقدية، هي:

١. «روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة»، وهو عنوان كتاب لمؤلفه الأستاذ إلياس أبو شبكة. نُشر هذا المقال في المجلد الثامن عشر، الجزء الأول والثاني، ص (٣٦٠-٣٦٦)، كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٣م/ذو الحجة ١٣٦١ المحرم ١٣٦٢هـ[3].

٢. «رؤياي»، وهو عنوان رسالة للأستاذ عارف العارف. نُشر هذا المقال في المجلد التاسع عشر، الجزء الأول والثاني، ص (٨٣-٨٦)، كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٤م/ المحرم وصفر ١٣٦٣هـ[4].

---

(١) العددان ١٠، ١١ من السنة الرابعة الصادر عن شهر المحرم للعام ١٣٥٤هـ الموافق لشهر نيسان من العام ١٩٣٥م.

(٢) من عنوانات بعض هذه المقالات: المسيح الهندي، وغرائب العادات، واليابان واليابانيون، وأمثال التاريخ، و...

(٣) في ملاحق الكتاب صورة عنه.

(٤) في ملاحق الكتاب صورة عنه.

٣. «المثل الأعلى في الحضارة»، وهو عنوان رسالة للأستاذ الدكتور يحيى الهاشمي. نُشر هذا المقال في المجلد التاسع عشر، الجزء الخامس والسادس، ص (٢٧٩).

٤. «حماة»، وهو عنوان كراسة صغيرة بقلم السيد عبد الرحمن عياش المحامي. نُشر هذا المقال في المجلد التاسع عشر، الجزء الخامس والسادس، ص (٢٨٠).

ثالثًا: الترجمات

مرّ معنا أنّ «التقيّ» كان يتقن العثمانيّة (التركيّة)، والفارسيّة، والفرنسيّة إضافة إلى لغته الأمّ، وقد ترجم رواية «الوجيه المتحضّر» لموليير عن الفرنسية - كما أشرنا إلى ذلك في كتبه غير المطبوعة - ونحن لا نعلم عن هذه الرواية شيئًا ويا للأسف.

وترجم التقيّ أيضًا «رباعيات الخيام»[1] الشهيرة، وقد أخبرنا في حديث خاص الدكتور بسام صندوق - ابن صديقه الشاعر أحمد صندوق - الذي كان زميل ولده المرحوم «وائل التقيّ» أنّه أراه - يعني المرحوم وائل - كتابًا كبيرًا بخط والده «التقيّ» يحوي الرباعيات المترجمة على الشكل التالي: الرباعية الأصل باللغة الفارسية وتحتها ترجمتها إلى العربية وتحتها ترجمتها إلى اللغة الفرنسية! وقال: «إن حجم الكتاب كان كبيرًا، ولكن لا أعلم عدد الرباعيات التي ترجمها. وعند سؤاله عن مكان الكتاب قال:

(١) مرّ ذكر كتاب غير مطبوع للتقي عنوانه: «شعر الخيام وفلسفته (نقد وتحليل)»، وقد يكون الكتاب المشار إليه غير هذا حسب الوصف الذي سيأتي.

كان عند ولده وائل، ولا أعلم عنه شيئًا»[1].

ووجدْتُ في دورية «العرفان» مقالًا مترجمًا عن خطاب للعلامة الأستاذ «ساطع بك الحصري»[2] ترجمه «التقيّ» بعنوان: (صفحة من تاريخ الفن، مثال من أمثلة العزم والرجاء، قياس المتر)، ولم يذكر اللغة التي ترجمها عنها. نشر هذا المقال في عددين متتاليين من أعداد المجلد السابع من «العرفان» الصادر في العام (١٣٤٠هـ) الموافق للعام (١٩٢١م) وهما العددان الرابع والخامس.

ويوجد في دورية «العرفان» أيضًا مقالان مترجمان وهما بعنوان: «الوطن»، و«حبّ الوطن» ترجمهما عن خطاب للعلامة الحصري باقتضاب، ولم يذكر اللغة التي ترجمهما عنها، وقد احتلا الصفحات (٣٢٩) وما بعدها من عدد شباط للعام (١٩٢٣م)؛ و(٤١٩) وما بعدها من عدد آذار (١٩٢٣م) المجلّد الثامن.

أما في مجلة «التربية والتعليم» التي مرّت الإشارة إليها، فقد ترجم «التقيّ» العديدَ من المقالات ذات الطابع التربوي والتعليمي، بحيث لا يكاد يخلو عدد من هذه الأعداد من مقال مترجم له. وقد وضع «التقيّ» اسمَهُ صراحةً في بعضها، وأضاف إليه

(١) الدكتور بسام أحمد صندوق طبيب دمشقي من مواليد العام (١٩٤٤م) وهو آخر أولاد المرحوم الشيخ أحمد صندوق صديق التقيّ، يمارس مهنته في عيادته بحي الأمين بدمشق، وستأتي ترجمة الشيخ أحمد صندوق عند الحديث عن أصدقاء «التقيّ».

(٢) هكذا عرّفه «التقيّ» في الصفحة (٢٠٦) من المجلد السابع من دورية العرفان التي كانت تصدر في صيدا – لبنان.

حينًا الحرفين (أ.خ)، واكتفى حينًا بهذين الحرفَين[1]. ولم يَذكر - في الأعم الأغلب - مصدر المقال الأصل ولا لغته الأصل.

(١) أعداد هذه المجلة موجودة في المكتبة المحسنية. في بعضها كلماتٌ صحَّحها «التقيّ» بقلمه، وكَتَبَ في بعضها عبارة: ترجمة أديب التقي البغدادي.

ومن المدهش أن نصفَ العدد الثامن من المجلد الأول - الذي صدر في ذي القعدة ١٣٣٨هـ الموافق لشهر آب ١٩٢٠م، وفيه نحوٌ من ٦٠ صفحة – هو بترجمة «التقيّ» وحده. وهذا العدد مطبوع في المطبعة الحربية بدمشق، وموجود في المكتبة المحسنية برقم ٣٣/ ٢٠٨/ ٣٧٨٤.

الملاحق

الملحق (١): صورة للشاعر أديب التقي

الشاعر الاستاذ اديب افندي التقي (دمشق)

كلمتهُ

ليس الشعر مما يغير من حقيقته تفريظ المقرظين او تعريض المعرضين . ان للشعر موطنا حساسا في النفس هو الشعور اذا اقرّه لذّ ورجح ، وان انكره مُجّ وطرح .. وهذه ابيات المثاني والمثالث على تنوّع مبانيها ومعانيها ما هي الا رنات نغمات وقعها على قيثارة قلبه ناظمها حاليم ثم بعثها لتنفذ الى الاسماع والنفوس وتظهر حقيقة اثرها في العواطف والشعور :

« والمسك ما نمّ عن ذاته لا ما غلا في نعته بائعه »

أديب التقي

الملحق (٢): صورة نادرة للأستاذ أديب التقي بلباسه العسكري (الثاني من اليسار في الصف الثاني) مع السيد محسن الأمين (الجالس في الوسط) والشريف صالح مرتضى (الجالس إلى يمين السيد محسن الأمين)

الملحق (٣): صورة مقال (السينما الناطقة) المنشور في مجلة العرفان

السينما الناطقة

ولغـة الضاد

يطلع الغرب على العالم كل يوم بحدث من احداثه الطريفة ، وما اكثر الأحداث الطريفة التي تتمخض بها قرائح ابناء الغرب وأذهان مفكريهم ثم لا تلبث ان تضعها تامـة الخلق ، في أجمل مظاهر التكوين والتقويم . . . لا مشوهة ولا ناقصة ! . . . وما موقفنا نحن الشرقيين من هذه الأحداث وطرافتها إلا موقف شاهد العيان تقذف بهِ تصوراته أمام المشهد إلى إحدى الناحيتين ناحية الاستهجان أو ناحية الاستحسان ! .

وقلما نفكر ان نتخذ من أي حدث طريف نشاهده او نسمع به طريقا نافذا الى جلب المنافع أو درء المضار . . . وشد ما مرَّ بنا الكثير من أمثلة العالم وعبره ، ونحن بـين الاثنتين كصخرة في طريق سيل او نقرة في ذروة شاهق ! .

ان من هذه الأحداث الطريفة التي طلع بها على بلادنا الغرب في هـذه الفترة القريبة ، (السينما الناطقـة) التي تعد والحق يقال ، من ابرز الأمثلة على قوة التفكير الغربي في حسن التوفيق والتنظيم ، فإنه ليس بالأمر السهل توفيق (الجراموفون) على (الفوطوغراف) والجمع بين اعمال التصوير والتحكية بآن واحد مع مراعاة الانسجام التام والانطباق لولا ما عند هؤلاء القوم من نفاذ النظر واصالة الرأي ! . . .

ان الشرقي المبتكر الأول للسينما الأولى التي كانت وما زالت في مدن الشرق تمثل بخيالات (كركوز) المعروفة .

لم يعجزه الابتكار لحدث من هذا النوع الذي نحن في صـدده يسلي به الجمهور الشرقي ويتخذ منه وسيلة للكسب والارتزاق ، وهو في ذلك لم يحتج لإعمال فكره في التوفيق بين امرين كالجراموفون والفوطوغراف يصعب التوفيق بينهما ، بل اتخذ من لسانه ويده ونبرات صوته أدوات تحركها روحه اللطيفة وبيانه العامي العذب الذي ينقل المغزى أحسن نقل ويجعل له في نفوس المشاهدين أجمل وقع ! . . وانه ليستشف من وراء هـذا اللسان واليد والنبرات مقدرة غريبة عجيبة تنصرف بذلك البيان وتكيفه بحسب الأغراض فلا يعدو هـذا التصرف والتكييف صور الجمال والفن والقدرة على إرضاء المشاهدين ! .

على ان هذه الخيالات هي كالسينما نفسها قد تكون اداة لبث الشرور والتلقين السيء ووسيلة من وسائل التثقيف والتسلية المفيدة في آن واحد ، وذلك تبعاً للموضوع الذي يختار للعرض على الجمهور .

فالآن وقد اخذ الغرب عن الشرق دقيقا ورده جليلا على عادته في الأخذ والرد ، أترى الشرق العربي تؤهله ظروفه لأن يستثمر هذا الحدث الطريف ، ويستغل جليلا ما كان أعطاه دقيقا ؟ . .

ان (السينما الناطقة) هذا الاختراع اللطيف سيؤدي حتما الى انقلاب خطير في دور التمثيل السينمائي وتحول غريب في ترتيباته ومعداته ، بل سيؤدي الى ارتفاع نسب الخسائر والأرباح أو وقوف الربح ! . ذلك ان السينما الصامتة كانت (أممية) فهي سواء أكانت (فيلماتها) من صنع الأمريكان أم الإنكليز أم الفرنسيين أم غيرهم فإنهُ يستطاع عرضها في كل قطر وعلى كل شعب . أما هذه السينما الناطقة فهي بسبب نطقها وخروجها من ذلك الصمت أصبحت لا تجد رواجا إلا عند الشعوب التي تتكلم لغتها فحسب . . . ولا يعقل ان يقبل شعب على شهود (فيلمات ناطقة) لا يفهم ما يدور على ألسنة ممثلي وقائعها من العبارات ، ولئن أنس شاهدها بالأصوات الطبيعية للأشياء فهو لا يجد أنسا ولا لذة في سماع منطق لا يفهمه يرغم سمعه على اقتباله إرغاما فيورثه انزعاجا حسيا ويخل بهدوئه الروحي وسكونه النفساني ، ولا يكون بين سماعه إياه وسماعه نقرات قطرات الأمطار أو مطارق الحدادين والقصارين أقل فارق ! . فهو يرجح (السينما الصامتة) على هذه (الناطقة) التي لا يفهمها . هذا إذا لم تأخذ الناس عصبياتهم القومية وغيرتهم على لغاتهم ان ترى غيرها لغة لمسارح لهوهم ونوادي تسليتهم . والناس بعد حريصون على شرف لغاتهم التي هي من أجل الرموز إلى الكيان القومي وحياة الشعب .

ولهذا سيكون من صالح شركات السينما إن في أمريكة أو في غيرها من البلدان ان لا يقصروا جهودهم عن اخراج (الفيلمات) بلغة معينة لا يعدونها بل المترقب ان يختاروا ممثلين وممثلات لكل لغة من اللغات التي يتوقعون الإقبال على مصنوعاتهم من اصحابها فعل التاجر اللبق الذي يعمل ليرضي زبائنه ، وهو يعلم انه إنما يعمل من اجلهم ليتصيد الأرباح منهم . ولذلك ستصبح (السينما الناطقة) قومية بحتة ، تظهر في كل وضع من أوضاعها المقاصد والأغراض القومية ويكون لكل شعب سينماه وممثلوه وممثلاته ، وستفقد الأمم خاصة من خصائص السينما وهي الاطلاع

العام على ثقافات الشعوب الأخرى التي تعرض ممثلة بوقائعها السينمائية وتقتصر على ما يعرض من مجالي ثقافاتها القومية الخاصة ، وبذلك خسارة أي خسارة من الناحية الاجتماعية قد لا يوازيها خاصة التلذذ بالنطق وسماع الخيالات تتكلم ! . وما ندري لعل المحترفين هذه الحرفة ينظرون في هذه الصفحات جميعها وينتهجون خطة من شأنها تلافي جميع هذه النقائص !

إذا عرفنا هذا فما هو يا ترى حظ اللغة العربية من هذا المشروع المتصور اخراجه من القوة إلى الفعل في زمن لا يكون بعيداً ؟ ان هذه اللغة الشريفة التي لا تجد بين عديد لغات العالم المتمدن لغة أقدر منها واصلح لتصوير مختلف العواطف والنزعات النفسية ، بل للتوغل والنفوذ إلى دقائق الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية ، لاسيما في كل ماله وشيجة يمت بها الى هذه النواحي كالتمثيل والسينما مثلا ؟ مازالت الى اليوم غير موضوعة في المكان اللائق بها من العناية : وهذا ليس من مسؤول عنه غير ابنائها الذين قضت عليهم عوامل مختلفة ان يهضموها حقها من الكرامة والرعاية والتذرع بالذرائع الآيلة الى نهضتها . وفي اعتقادنا ان وسائل تشجيع اللغة العربية ونشر الفصحى بين عامة طبقات الأمة كثيرة وسهلة المتناول يجب على الأمة والسلطات ان تأخذ بها . وكما انها تنفق سنويا عشرات الألوف من الدنانير على اصلاح الطرق وسلفها لكي تسهل سبل المناقلات عليها وتلائم الحضارة فمن باب اولى يجب ايضا ان تنفق على اصلاح طرق تدريس هذه اللغة ونشر الفصحى وتعميمها . ومن أهم هذه الوسائل العامة النوادي الأدبية والتمثيل فكلاهما مجلى ومجال مترامي الأطراف لاجتلاء محاسن اللغة وروائع عباراتها وافكارها وبروز لغة العواطف والحقائق بأبهى ما يمكن ان تبرز به . ان شهود الجماهير نوادي المحاضرات العلمية والأدبية والأخلاقية ونوادي التمثيل وسماعهم بليغ الكلام وفصيحه من الخطباء والأدباء والممثلين يبعث فيهم الأساليب البليغة ويسوقهم إلى التعبير الفصيح وتجنب لحن المنطق واخطاء اللهجة العامية . أما هذا الحدث الطريف (السينما الناطقة) ففيه قوة أي قوة اذا استطعنا ان نستغله لإنهاض اللغة العربية وتهذيب منطق الضاد في جهات الأرض المختلفة ونشر ثقافة اللغة الأدبية وتقويم اللهجات ، وبذلك يكون المبتكر الأول للسينما الأولى قد حصد ما زرع مرتين ، ولعل الأيام تكفل لأبناء الضاد تحقيق أمانيهم فتكون منها هذه الأمنية ! . . .

دمشق

أديب النفي

مجاز بالحقوق

الملحق (٤): صورة مقال «روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة»

روابط الفكر والروح
بين العرب والفرنجة

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ الياس أبو شبكة ، من أدباء لبنان الناهضين ، ويقع في ١٣٦ صفحة ، عرض فيه المؤلف لمبادئ الثورة الفرنسية وما حملته لشعوب العالم في الغرب والشرق من حسنات ، وأشاد بمركز فرنسة الأدبي والثقافي ، وما كان للرسالات الفرنسية التي أمت لبنان من جهد وأثر عميق في المسيحيين خاصة ، واشار غير مرّة الى ما وقعت فيه الناشئة من مساوئ النقل والاقتباس ، فكان بذلك حسن الاشارة دقيق الملاحظة ، غيوراً على النشء ان يصدف عن تاريخه ويتخلى عن مزاياه القومية وفضائله . ومما يجدر عرضه من ذلك :

١ — قوله (ص ٧٥) : « فراحت الناشئة تغرف من معين تلك الفضائل غذاء لتفكيرها ، وإذا هي تعرف عن كلوويس ، وشارلمان والقديس لويس ، وفرنسيس الأول وهنري الرابع ولويس الرابع عشر ، وعن دوكيكلان وجان دارك وبايار وكونده وتورين وجان بار ، ودوغي تروين ، وعن رابله وديكارت ومونتين ، ورونسار وماليرب وكورنيل وراسين وبوالو ولافونتين وموليير ؛ أكثر بكثير مما تعرف عن

أبطالها وأدبائها وملوكها ، وقد يكون مردّ هذا الى ان الناشئة المسيحية في الشرق حملت على الاعتقاد ، من حصر الدعوة في ما انطوى عليه التاريخ الفرنسي من الفضائل ، بأن تاريخها لا يرتبط بتاريخ العرب ؛ جاهلةً انه من خطل الرأي القول بأن تاريخ العرب هو تاريخ الأُمة الاسلامية دون سواها » .

٢ — وقوله (ص ٨٤) : « ولا نزاع في انه من الضرورة الإطلاع على أدب الأجانب للاستفادة من كنوزه ، ولكن الاستفادة من هذه الكنوز لا تفضي الى التخلي التدريجي عن السجايا الوطنية ، واختلاط المشارب وطرق التفكير لا يفقد أُمة فضائلها ومزاياهـا » .

٣ — ومن ذلك أيضاً اشارته (ص ٩٣ وما بعدها) الى ما كان من أثر نقل القصص عن الفرنجية في أوائل القرن العشرين ، وما كان وراء ذلك من إساءة الى التاريخ من جهة ، والى الآداب من جهة أُخرى بسبب ما نسب الى الملوك ورجال الدين من أنواع الجرائم والمخازي والى الحب من دناسة وقذارة . وقال في (ص ٩٦) : « وربما كان لهذه القصص أثرها السيء في الآداب العامة ، ويد في البؤس الأدبي والثقافي الذي لمس في ذلك العهد » .

٤ — ومن ذلك أيضاً ما أخذه على الناشئة (ص ١٠٤) من تفشي أدب لفظي فيها لا يغتفره أي نبوغ او اية موهبة ، سببه شخوص هذه الناشئة بأرواحها وقلوبها الى الأُدباء اللبنانيين في المهجر الامريكاني ، فأغرق هذا الشخوص ما تنتجه الأقلام في سيل من الألفاظ الجوفاء . وأخذ على الأُدباء الجدد غلبة الغموض على الوضوح في آثارهم الشعرية ، وقال في هذا الصدد (ص ١١٢) : « ونحن لا ندري أي مبرر لمثل هذا الغموض في شعرنا ، ولا يسعنا الا ان نأسف لتلك الغارة الأجنبية على صعيدنا الأدبي ، وتلك السيطرة على خيال الجيل الجديد » .

وهذا كله ، في جملته من الطيوف الحسنة التي تطيف بالكتاب فتجعل له قيمة نقدية ، والنقد من شأنه تصليح الأعمال وتوجيهها في اتجاه صالح خالٍ من المؤاخذات على أنواعها . وما استجازه المؤلف لنفسه من هذا الصدد نستجيزه لنفسنا ، ونلفت نظره

إلى مواطن من كتابه ترد عليها مؤاخذات من الناحية التاريخية ، ولعل عذر المؤلف في أكثرها ما وجده هو نفسه من عذر لمعظم الناشئة اللبنانية المسيحية من الإشاحة عن تتبع التاريخ العربي لأنها حملت ، كما قال ، على الاعتقاد ان تاريخها لا يرتبط بتاريخ العرب ! ومن أهم ما يؤخذ عليه من ذلك :

١ — قوله (ص ٢١) : « مدنية العرب في إسبانية زالت بزوال العرب ، ولكن المدنية التي نشأت من التقاليد الصليبية في الشرق فقد نمت وامتدت عروقها وطوت القرون الى أيامنا هذه » اهـ . والحق ان مدنية العرب في اسبانية لم تزل بزاول العرب وهي باقية قائمة تعكسها الى أنظار العالم المتمدن قصور الحمراء والزهراء ، وجامع قرطبة ، والسدود والمصانع ودور الآثار ، وكثير لا يستطاع نكرانه وجحوده مما يتوارثه الاسبان الى اليوم في العادات والأخلاق والفنون والآداب واللغة والعلوم والمصطلحات . أما الصليبيون فلم يكن لهم يوم أتوا الشرق مدنية يحتاج الشرق ان يستبدل بها مدنيته يومئذ . وقد تعلم هؤلاء من مدنية الشرق الإسلامي الشيء الكثير ، ولم يتركوا في هذا الشرق مدنية تنمو وتمتد عروقها وتطوي القرون ! .

٢ — وقوله (ص ٢٥) : « على ان اليد البيضاء التي أسبغها العرب على اسبانية لا ينبغي ان تعمي أبصارنا وتحدرنا الى دركة التعصب فلا نرى للإسبان فضلاً في بلادهم ، فالى جانب الحضارة العربية التي كانت تنمو في جنوبي إسبانية كانت الحضارة الاسبانية تنتظم في المقاطعات المستردة ، وكان لكلتا الحضارتين أثرها في الأخرى » اهـ . والذي نراه ان مدنية الإسبان ، يوم دخل اسبانية العرب ، لم تكن الا صورة عن المدنية الأوربية يومئذ ، لا تصلح ان تقاس بالمدنية التي أدخلها العرب على اسبانية . والمدنية العربية في اسبانية أعطت ولم تأخذ وأثرت ولم تتأثر . (راجع دوزي ج ١ ص ١٠٣)

٣ — وقوله (ص ٢٧) : « ففي مطلع القرن الثامن هاجم القائد العربي العظيم طارق ابن زياد إسبانية بعد ان استولى على سوريا ومصر وطرابلس الغرب والقيروان وتونس والجزائر ومراكش » اهـ . ولا ندري من اين جاء بهذه الطرائف ! فطارق كان من رجال موسى بن نصير والي افريقية للوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي بدمشق

امره موسى ان يقتحم العدوة الى اسبانية ليفتحها ففعل ثم لحقه موسى واتم هذان الفاتحان اعمال الفتح في اسبانية ، واجتاز موسى البيرنه الى فرنسة وفتح قسماً من جنوبيها وحاول الهجوم على ايطالية بطريق فرنسة فأتاه امر الوليد بالتوقف والعودة . ولم يفتح طارق سورية ولا مصر ولا طرابلس ولا سواها ، وانما فتحت هذه في عهد الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قبل ان يخلق طارق ! .

٤ — وقوله (ص ٢٧) أيضاً : « وبقيت القطيعة بين عرب الشرق وعرب الغرب قروناً عديدة ، وفي خلال هذه الحقبة صار الأدب العربي الى الانحطاط في الشرق من جراء التدهور السياسي والاقتصادي فيه » اهـ . والواقع ان الأدب العربي في هذه الحقبة التي يشير اليها كان في اعلى درجات نهضته ، وهي تقابل عهد المنصور والرشيد والمأمون والمعتصم في الشرق ، وهذا العهد معدود من ازهى عصور الأدب وألمعها . وفي عهد التدهور السياسي الذي لمح اليه لم ينحط الأدب ، ولم يتقهقر ، فعهد البويهيين في العراق وفارس من أخصب العهود ، وفيه نشأ فطاحل أدباء العرب من شعراء وعلماء وكتاب . وهذه العوامل التي دعت الى تقدم الأدب رغم ذلك التدهور الذي أشار اليه معروفة في تاريخ الأدب ، وليس هذا موضع ذكرها .

ويعرض الكتاب بعض آراء قد تكون آراء شخصية للمؤلف او لغيره لا نشاركه فيها ، ونجد من واجبنا الاشارة اليها والدعوة الى تصحيحها ، ومنها :

١ — ما ورد في (ص ٢٩) ، من جعل المؤلف جزيرة قبرص ، بعد إخراج صلاح الدين الأيوبي الصليبيين من فلسطين ، صلة الوصل الوحيدة بين الشرق والغرب ، لاتخاذها مستعمرة فرنسية في أواخر القرن الثاني عشر ، وازدهار الفنون والآداب الفرنسية فيها . ولسنا ندري لجزيرة قبرص هذا الأثر الأدبي في الشرق ولا قيام نهضات علمية او ثقافية فيها تأثر بها الشرق او أخذ عنها . وكل ما نعلمه من صلات الشرق بقبرص لا يتعدى الصلات التجارية في القديم والحديث ! .

٢ — ما ورد في (ص ٨٦) ، من دعوته الأدباء والمتأدبين الى الاطلاع على ادب الأجانب للاستفادة من كنوزه ، وإشارته بصورة خاصة الى ما استفاده الأدباء الغربيون من ادب التوراة . وقد غلا في الأدب اليوناني واللاتيني والعبراني

حتى قال (ص ٨٧) : « ولا سبيل لنا ان ننكر ان الادب العربي لم يبلغ في اي عصر من عصوره ، منذ فجره الى اليوم ما بلغه الادب اليوناني او اللاتيني او العبراني ؛ ففيم يشيح الادباء والمتأدبون في البلاد العربية عن تلك الذخائر الإلهية المدفونة في في مطاوي كتب اليونانيين واللاتين والعبرانيين ! اهـ . وقد غرب عن بال المؤلف ان العرب فى العهد العباسي نبشوا عن هذا الأدب ، وفتشوا كنوزه ، ولم يرقهم من تلك الذخائر المدفونة سوى ما ترك اليونان من فلسفة فأخذوه ، ثم هضموه ومثلوه ، واخرجوه للناس من جديد مطبوعاً بالطابع العربي ، ولو راقهم من تلك الذخائر شيء غير الفلسفة لأخذوه . اما ما في التوراة من شاعرية سليمان في (نشيد الاناشيد) وشاعرية ايوب في (سفر ايوب) ، وشرائع انسانية في اسفار (تثنية الاشتراع) ، كما اشار المؤلف ، فقد اغنى العرب عنها ما في القرآن الكريم من سحر بيان وبلاغة ، وعبقرية فن وادب . ولو عرف الأدباء الغربيون الذين ذكرهم المؤلف عن القرآن ما عرفوه عن التوراة لكان تأثرهم ببلاغته وادبه اروع ، وإعجابهم بما فيه من عبقرية وفن اعظم ! . والأدب العربي له شخصيته وكيانه الكامل ، وقد استطاع ان يمثل بيئته واصحابه احسن تمثيل ، وقد قام بما حملته اياه حياة العربي العقلية والاجتماعية خير قيام ، فلم يقصر في المضامير التي اقتضت الجري فيها هذه الحياة ، وقد تلون بالألوان المختلفة التي خلعتها عليه البيئة ، وهو من هذه النواحي ليس دون الأدب اليوناني او اللاتيني او العبراني ليقال انه لم يبلغ ما بلغته هذه الآداب ، لا بل هو ، في بعض منازعه ومناحيه ، وبعض أغراضه ومعانيه ، فوق هذه الآداب جميعها ، والأدب صورة الأمة ، وعنوان عبقريتها ، وحبنا قوميتنا يفرض علينا ن نحب أدبنا ، وألا ندعوَ الى تفضيل اي أدب عليه مهما كان هذا الأدب ؛ وان أمة كأمتنا العربية لها مثل هذا التراث المجيد من الأدب لحقيق ان تباهي به ، وان تضعه في مصاف الآداب السامية لأمم أخرى ، وتشعر بما ينطوي عليه من خصائص غالية ومزايا عالية !

٣ — ما ورد في أكثر صفحات الكتاب من ترديد المؤلف أعلام أدباء لبنانيين فحسب في موضوعات تستدعي ذكر غيرهم معهم ممن شاركوا في النهضة الأدبية . وربما

ألم هذا ان الكتاب من أهدافه الإعلان عن أدباء لبنانيين سايروا حركة الاقتباس والنقل عن الأدب الافرنجي الى الأدب العربي ، وقصر ذلك على طائفة منهم دون سواهم ، وخاصة في المسرحيات والتمثيل (ص ٧٣ وما بعدها) . والأولى ان يشار الى جميع من ساهم في ذلك من الأدباء وان اختلفت أقطارهم . ومن العجيب ان يهمل المؤلف ذكر اي شيء يتصل بهذه الحركة في الشام ، ولم يشر حتى الى الجهود المثمرة التي قام بها مجمعنا العلمي منذ مطلع القرن الحاضر وكان من نتائجها الطيبة وصل الحركة الأدبية والعلمية بالغرب والمستشرقين حتى كان عدد كبير منهم أعضاء فيه ! وقد أصابت هذه القسمة الضيزي أيضاً ، صورة المشهورين المعروضة في الكتاب ، فمن بين (٢١) صورة لشرقيين أصاب لبنان (١٤) منها ، ولم يصب الشام حتى ولا صورة واحدة !

٤ — تسميته كتابه : « روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة » والذي يصدق على موضوع كتابه انما هو : «الروابط الفكرية» او «روابط الفكر والثقافة » او « الروابط الثقافية » . وإقحام « الروح » في هذا العنوان لا يتصل بروح الكتاب ، ولا بروح المترجم لهم من الفريقين ، والمؤلف في بحثه كله لم يتناول شيئاً روحياً ، وانما قصر ذلك على نواح فكرية وثقافية ومن هذا أيضاً ؛ ان بعض عناوين فصول الكتاب لا تنطبق على ما تتضمنه ، من نحو عنوان : « الأدب العربي في نهضته المباركة » ص ١٩ ؛ فليس تحت هذا العنوان الا البحث عن اتجاهات الأدب الفرنسي في القرن الأخير ، والتحدث عن الأدب الرومنطيقي والواقعي والرمزي ، وسرد أسماء طائفة من شعراء الفرنجة الذين اخذوا بهذه المذاهب ، وما كان من طغيان التفكير (الفلسفي الصوفي) على أدب شعراء المهجر ، وأخذ الشعراء الشبان بهذا الأدب وذاك وتعدد المذاهب الأدبية . وما يفيده العنوان المذكور غير ذلك كله .

هذا ؛ ويلاحظ ان عبارة الكتاب بمجموعها ، أشبه بترجمة عن الفرنسية ، ولعله ناشيء عن كثرة مطالعة المؤلف الآثار الفرنسية ويظهر ذلك في اكثر فصول الكتاب ومباحثه ، كما في الصفحات من (٣٢) الى (٥٢) . ومن ذلك قوله ص ٧٣ : « كان الأدباء المقلدون أدباء المديح والرثاء والألغاز والأحاجي يبصقون آخر أسنانهم » . « وبصق الأسنان » ليس تعبيراً يحرص على نقله وعرضه !

وقد وقع في الكتاب أغلاط نورد بعضها على سبيل المثال :

أ — رسمه « ابو نؤاس » بالهمزة ، ونسبته هذا البيت اليه :

« وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر» وإنما هو لغيره .

ب — استعماله « الطلاق » بمعنى «القطيعة» في قوله (ص ٣٦) : « وكان الاتصال ضعيفاً بين الشرق والغرب بداعي الطلاق الذي حصل بين عرب الشرق وعرب الغرب » . و « الطلاق » له معنى شرعي معروف ، وهم يقولون : « عرب المشرق والمغرب » ، و « المشارقة والمغاربة » .

ج — قوله ص٢٧ : (فقد شقت عصا الطاعة للخليفة العباسي) والصواب (على الخليفة)

د — قوله ص ٤٠ : « ففي سنين كانت الكتب العربية المطبوعة نادرة»،وفي ص٤٦: « حالما انسحب جيش نابوليون » والصواب : « حينما كانت » و « حينما انسحب » .

هـ — رسمه أعلام البلدان بالألف : «فرانسا ، سوريا » ، والأرجح بالتاء المربوطة . وقوله ص ١٠٢ : « لوحة » ولم نجد في العربية « لوحة » وانما هي « لوح » .

و — تعديته القول بالباء في عدة مواضع ، والصواب بدون الباء .

أديب النفي

الملحق (٥): صورة مقال «رؤياي»

— رؤياي —

رسالة في (٨٦) صفحة للأستاذ عارف العارف من رجالات فلسطين ضمنها آراءه له في الأوضاع والأشكال والأسس التي يطمح ان يرى الأمة العربية صارت اليها في مستقبلها القريب ، وقد جعل ذلك بطريق الرؤيا والخيال ويستشف من خلال ما تعرضه هذه الرؤيا تصوير لحالة الأمة العربية في شؤونها السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية . وقد تخيل المؤلف الجزيرة العربية الكبرى قد أخصبت وتحولت صحاريها الرملية وبواديها إلى حدائق غناء ، وتبدل خرابها قصوراً وقفرها أنهاراً ، وشمسها المحرقة نابت عن الكهرباء والبخار في الاضاءة وتحريك الآلات ، وقضي على حياة الخيام والظعن ، واتصلت أجزاء الجزيرة ونواحيها ، بعضها ببعض ، بسكك الحديد والطيارات وأنشئت المدارس والمصانع والمعامل والجسور والمرافئ .. ويصور العرب وقد استرجعوا مجدهم وعزهم فهم ليسوا أمسرى العادات والتقاليد كما كانوا وقد أصبحوا (متمسكين بأذيال العلم والفن والمنطق والفلسفة الرائقة الحقيقية) ص ١٠ ولعل الزمان غير البعيد يجعل من حلم السيد العارف حقيقة تقر بها عينه في اليقظة كما قرّت في المنام وينبثق الفجر الذي طال انتظار العرب سطوعه فيساهموا في بناء العالم الجديد ، ورفع صرح الانسانية والحرية والثقافة . غير ان التمسك (بأذيال العلم والفن والمنطق والفلسفة الرائقة) وحده لا يجعل من المجتمع العربي المنتظر الذي يتخيله مجتمعاً صالحاً فاضلاً ، وهذه ؛ ظاهرة من ظواهر الحضارة والمدنية وليست أساساً لها ، وإنما قوام المجتمع الخلق المتمثل في طائفة من العادات والتقاليد الصالحة المتوارثة في المجتمع والمنبثقة من روح أهله ، ولم نسمع ان شعباً قام على العلم وحده ، أو الفن أو المنطق او الفلسفة ، وهي أمور كغيرها من مستلزمات الحضارة ، مرتبطة بالتغير والتبدل والانتقال ، وتابعة للنسخ والمسخ والمحو والإثبات ! وقد عاشت الشعوب وتألفت المجتمعات ودامت حيويتها بالخلق وحده ، بدون الفلسفة وبدون دراسات المنطق ، وبدون الفنون ! وانهارت أمم ودول وهي رِيّا بالعلوم والفنون والفلسفة والمنطق ولكنها عارية من الخلق ! فاذا كنا نتخيل مجتمعاً عربياً في الآتي ، ونلفت

اليه الأنظار من الآن مع إعداد العدة له ، فمن الواجب ان ننبه الى ان مجتمعاً مثل هذا لا يمكن ان يقوم على العلم وحده ، او الفلسفة والمنطق والفن والانطلاق من العادات والتقاليد التي تمثل فيها الأمة وتتكون منها شخصيتها الاجتماعية ! وإذا كنا نحب ان لا نرى بين العرب في هذا المجتمع المنتظر ، مع التأكد من عدم إمكان ذلك ، (لا ظالماً ولا مظلوماً ولا ضارباً ولا مضروباً ، ولا قاتلاً ولا مقتولاً ، كما يتخيل المؤلف (ص ١١) ؛ فمن الحكمة والمنطق ان نؤسسه على الخلق الفاضل والعادات الفاضلة قبل أي شيء آخر ، ونجاري زماننا وشعوبه في الاستعداد والأخذ بالقوة بجميع مفاهيمها ! وها إننا نرى في هذا الصراع العالمي أن العلم والمنطق والفلسفة وشتى أنواع الفنون قد عجزت أن تعطينا مجتمعاً فاضلاً . . وعجز القرن العشرون كله ، رغم التقدم الباهر العجيب فيه ، في الحضارة والعلم والفلسفة ، ان يكون له طوابع وسمات غير ما كان للعصور المظلمة السالفة ! ودم الانسانية الذي أهرقه العلم والفلسفة في هذا العصر يفوق مادة ومعنى كل دم للانسانية هراقة الجهل في العصور التي سبقته حتى القرون الأولى ! .

وقد طاف بهذه الرؤيا مغامز عدة ووخزات جمة يحسن تنبيه المؤلف اليها ، وإن كنا لا نعتقد انه أرادها لذاتها وإنما أوردها بقصد التنظير والتمثيل لحالة العرب الراهنة ليتسنى له المقابلة بينها وبين الآتي المنتظر . ومن ذلك : نسبته الى العرب اليوم التعصب الشديد ، والقول بالترهات والأباطيل ومحاربة حرية الفكر والعقل والضمير (ص ١١) . والعرب ليسوا أكثر تعصباً من غيرهم ، ولا يكون التعصب دائماً ممقوتاً ، ومنه التعصب للحق والرأي الصواب والمقدسات الدينية والوطنية ؛ وكذلك ليسوا على هذا الشكل الخيالي الذي وضعهم فيه من الأخذ بالخرافات والأضاليل وإنكار العلم والعقل وحرية الفكر ! على ان الخرافات لا يخلو منها مجتمع في العالم مهما سما شأنه ، ومهما ارتقى علماً وفناً وفلسفة ! ان الكاتب يريد ان يكون مستقبل العرب خيراً من حاضرهم ، ولكن هذا لا يستدعي ان يصورهم مشوهين ومعيوهين اليوم ؛ ليجعل منهم كملةً وصحيحين في الغد !

ومن ذلك انتقاده عقوبة القاتل بالقتل ، ويرى ان ذلك لم يُجد نفعاً ، ويجد من الواجب محاربة شرور المجتمع ليمتنع القتل وعقوبته (ص ٦٠) ، وهو كلام نظري خيالي يناقضه الواقع وغريزة الانسان حتى في اعظم بلاد العالم رقيـاً ، ويصطدم بالنص الرائع : (ولكم في القصاص حياة !) .

ومن ذلك تخيله ان العلم صائر الى جعل الناس قادرين ان يلدوا اذا شاؤا البنين واذا شاؤا البنات ، وان يعرفوا قبل الوضع باليقين جنس الجنين (ص٥٢) ! وعلم ما في الأرحام من خصائصة جلّ وعلا : (ويعلم ما في الأرحام) ، وهو مما استأثر به الخلاّق ومن الأمور الخمسة الغيبية التي لا يعلمهن الا الله ، وكذلك التصوير في الأرحام : (هوالذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) والعلم والفن عاجزان عن تحقيق ذلك .

ومثل ما ذكرنا تصوره إبطال قاعدة الإرث التي جاء بها الاسلام ونص عليها القرآن ، وعدم التفريق بين الذكر والأنثى في ذلك ، والتساوي التام في كل شيء بين الجنسين (ص ٥٣) ، وحدوث انقلاب في المساجد والصلاة واساليبها (ص ٦٧) وتغير اللغة العربية في خطها وحروفها واملائها وقواعدها (ص ٥٩) وهذه وأمثالها من النزعات المتطرفة التي يصعب تطبيقها ولا يفيد تحقيقها .

ولو أننا نجنا في الواقع والحقيقة هذا المجتمع الذي تخيله الكاتب لما خلي من المؤاخذات ، ولما سلم من الانتقادات ونحن ما نزال متأثرين بأوهام عن المجتمع الغربي زهدتنا في مجتمعنا وتراثنا فنحسب ان كل ما يعكسه هذا المجتمع حسن وصواب ، فلا نفرق بين الصالح منه والفاسد والرديء والجيد . والعقلاء والمفكرون تذمّروا كثيراً من مفاسد هذا المجتمع وشكوا ما فيه من شرور ! وها هي ذي المدنية الاوروبية تحترق وتسقط مضرجة بدمائها في الصراع القائم اليوم ، ويردّد قادة العالم نشدان مجتمع أفضل ومدنية أقوم ، ومن واجبنا ان ننتظر مصير العالم بعد هذا الصراع ، ومصير المدنية والحضارة ، ونتطلع الى المدنية الجديدة والمجتمع العالمي الجديد فنساهم في بناء مجتمع فاضل ومدنية شريفة تستقي من تاريخنا وحضارتنا أولاً ، ثم من النافع المفيد في العالم المنتظر الجديد .

والدعوة اليوم الى اعتناق مبادئ اجتماعية وعادات وتقاليد مستوحاة من المجتمع الغربي المنهار لا تفيد مجتمعنا وبلادنا ما دمنا لا ندري ما يطلع علينا به الغد من صور الحياة الجديدة وألوان المجتمع الجديد ! ولماذا لا ندعو الى اصلاح مجتمعنا على اساس الإبقاء على مزايانا الخلقية وفضائلنا العنصرية وعاداتنا وتقاليدنا الرضية مع قبول كل ما لا يتعارض وذلك من النافع الجديد ! فمنهجنا الاصلاحي من الواجب ان تؤخذ مواده من حياتنا وتاريخنا ، وينبغي ان تستوحي روحه من شريعتنا وقوميتنا ، فجميع ذلك من العرب والى العرب .. وفيه كل حسن !

أديب التقي

الملحق (٦): صورة الغلاف الخارجي لديوان «التقيّ»

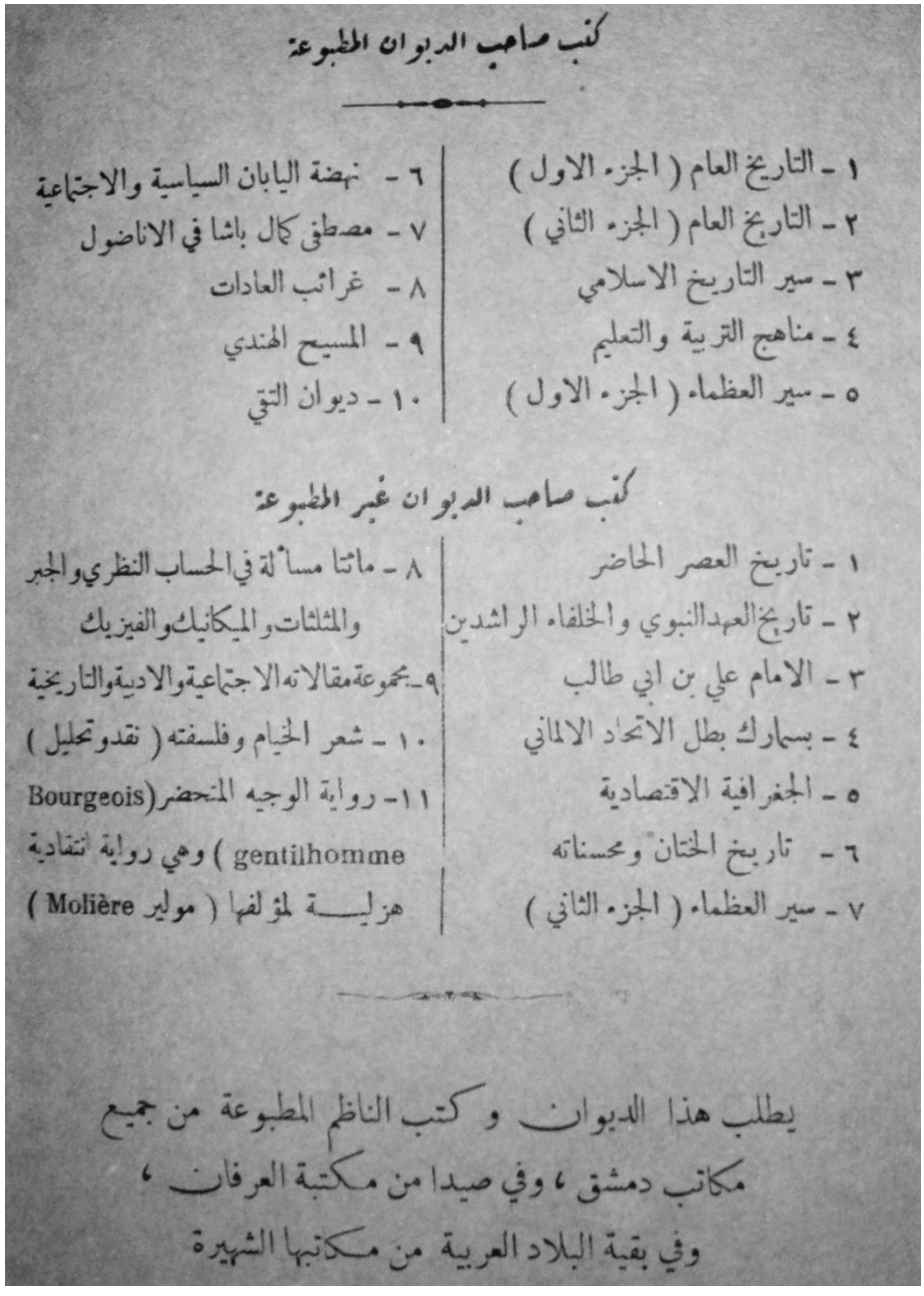

كتب صاحب الديوان المطبوعة

١ - التاريخ العام (الجزء الاول)
٢ - التاريخ العام (الجزء الثاني)
٣ - سير التاريخ الاسلامي
٤ - مناهج التربية والتعليم
٥ - سير العظماء (الجزء الاول)
٦ - نهضة اليابان السياسية والاجتماعية
٧ - مصطفى كمال باشا في الاناضول
٨ - غرائب العادات
٩ - المسيح الهندي
١٠ - ديوان التقي

كتب صاحب الديوان غير المطبوعة

١ - تاريخ العصر الحاضر
٢ - تاريخ العهد النبوي والخلفاء الراشدين
٣ - الامام علي بن ابي طالب
٤ - بسمارك بطل الاتحاد الالماني
٥ - الجغرافية الاقتصادية
٦ - تاريخ الختان ومحسناته
٧ - سير العظماء (الجزء الثاني)
٨ - مائتا مسألة في الحساب النظري والجبر والمثلثات والميكانيك والفيزيك
٩ - مجموعة مقالاته الاجتماعية والادبية والتاريخية
١٠ - شعر الخيام وفلسفته (نقد وتحليل)
١١ - رواية الوجيه المتحضر (Bourgeois gentilhomme) وهي رواية انتقادية هزلية لمؤلفها (موليير Molière)

يطلب هذا الديوان وكتب الناظم المطبوعة من جميع مكاتب دمشق ، وفي صيدا من مكتبة العرفان ، وفي بقية البلاد العربية من مكاتبها الشهيرة

الملحق (٧): صورة غلاف (الثقافتان الصفراء والبيضاء) وعليه إهداء مؤلفه الشيخ بهجة البيطار للأستاذ «التقيّ»

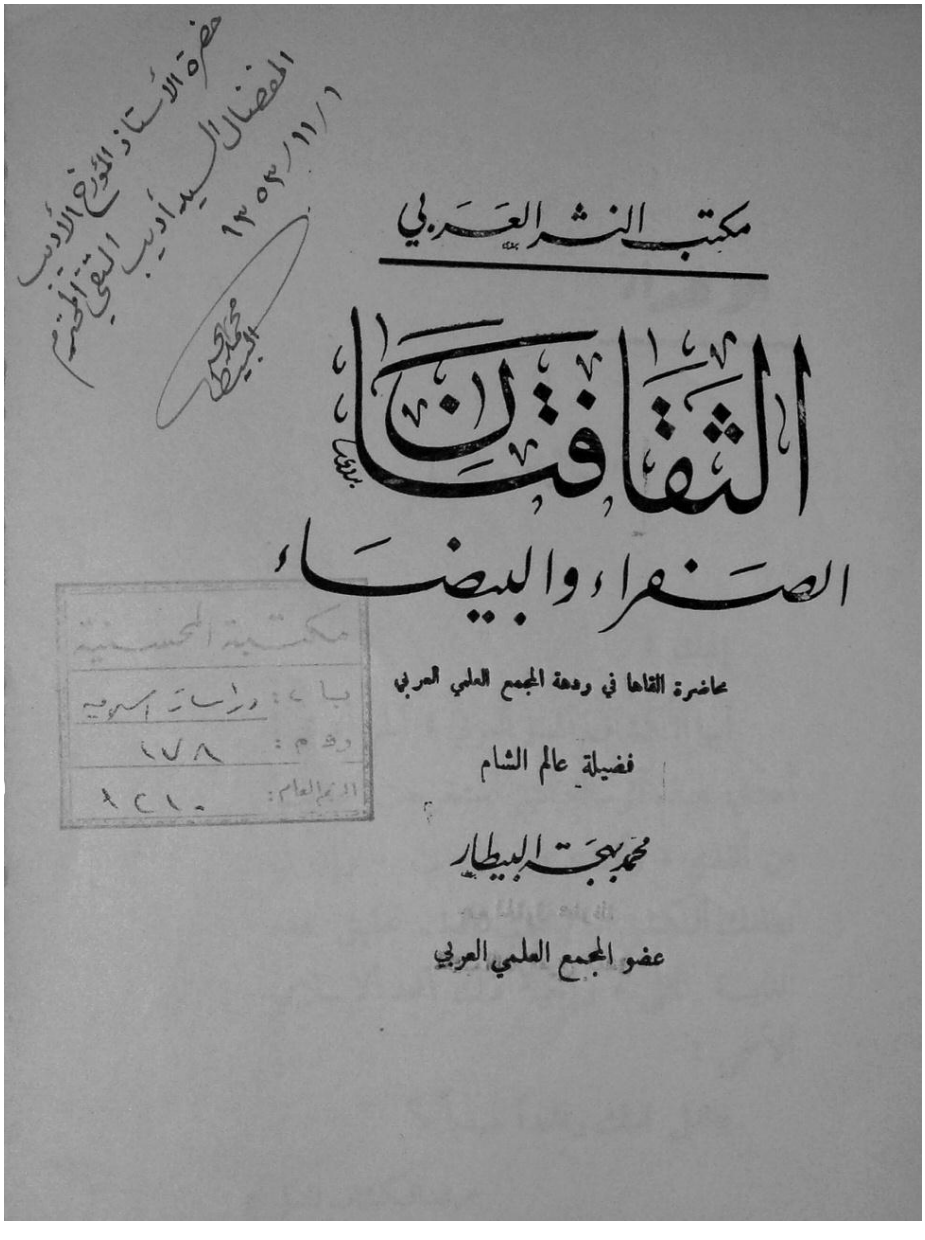

الملحق (٨): صورة صفحة الإهداء من كتاب (أمواجي) وعليها إهداء مؤلفه أحمد الصافي النجفي للأستاذ «التقيّ»

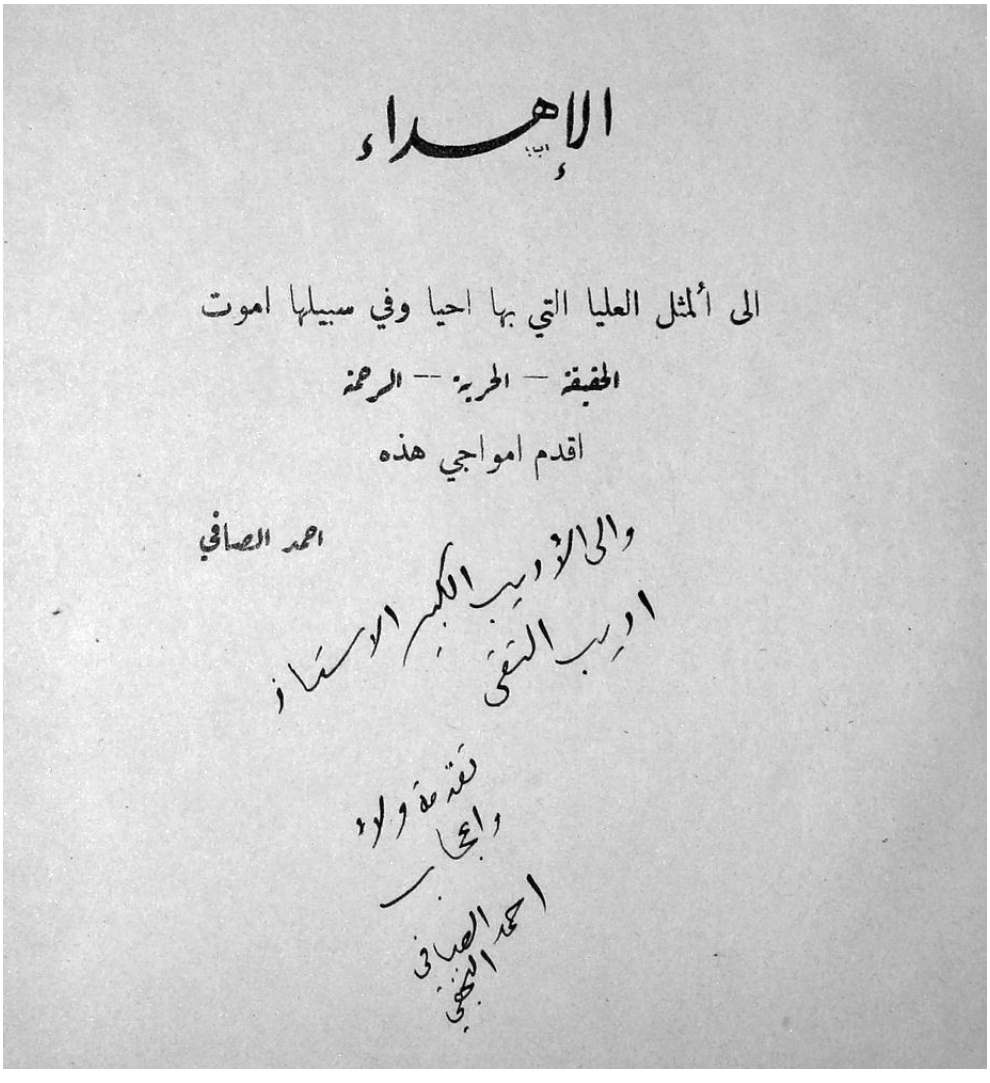

الإهداء

الى المثل العليا التي بها احيا وفي سبيلها اموت

الحقيقة — الحرية — الرحمة

اقدم امواجي هذه

احمد الصافي

والى الاديب الكبير الاستاذ

الاديب التقي

تقدمة ولاء

واعجاب

احمد الصافي

النجفي

الملحق (٩): صورة غلاف (ديوان الغلاييني) وعليه إهداء مؤلفه الشيخ مصطفى الغلاييني للأستاذ «التقيّ»

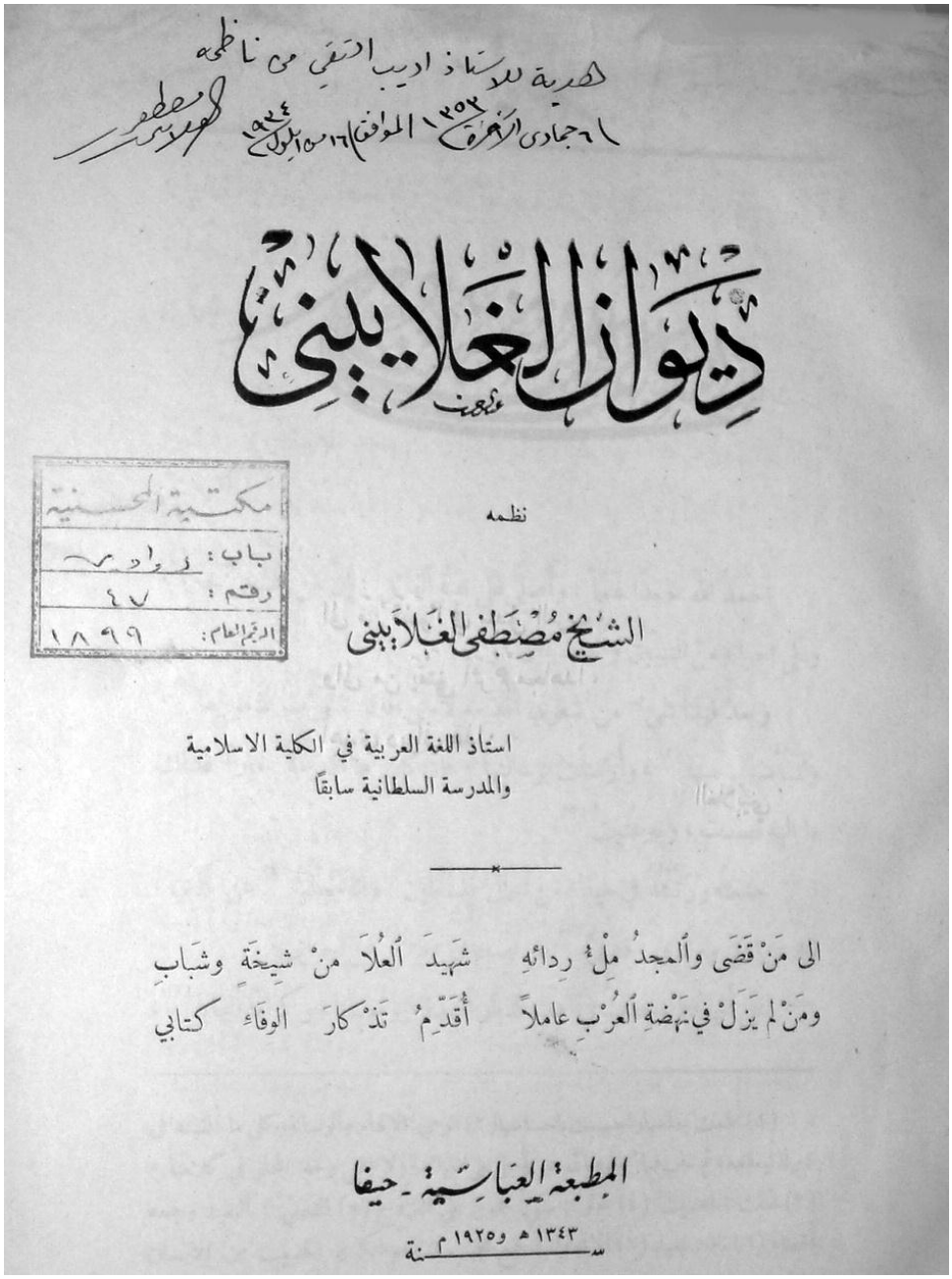
هدية للاستاذ اديب التقي من ناظمه
مصطفى الغلاييني
٦ جمادى الآخرة ١٣٥٢ الموافق ١٦ من ايلول ١٩٣٣

ديوان الغلاييني

مكتبة الحسنية
باب: دواوين
رقم: ٤٧
الرقم العام: ١٨٩٩

نظمه

الشيخ مصطفى الغلاييني

استاذ اللغة العربية في الكلية الاسلامية
والمدرسة السلطانية سابقاً

الى مَنْ قَضَى والمجدُ مِلْءُ ردائهِ شَهِيدَ العُلاَ منْ شيخَةٍ وشَبابِ
ومَنْ لم يَزَلْ في نَهْضَةِ العُرْبِ عاملاً أُقَدِّمُ تَذْكارَ الوفاءِ كتابي

المطبعة العباسية - حيفا
سنة ١٣٤٣ هـ و١٩٢٥ م

الملحق (١٠): صورة غلاف (ديوان الطغرائي) وعليه العبارةُ التي يكتبها «التقيّ» على الكتب التي يضمها إلى مكتبته مذيلة بخاتمه